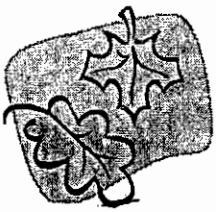

أوراق الخريف

تأملات ورؤى نقدية

بقلم

ناصر رمضان عبد الحميد

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا – القاهرة ـ ☎: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب
والوثائق القومية إدارة الشئون الفنية

حسين، ناصر عبد الحميد.

أوراق الخريف

تأملات ورؤى نقدية

بقلم: ناصر عبد الحميد حسين.

القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٢.

١٤ X ٢٠سم.

تدمك: ٥ ٤٥٥ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

ا - الأدب العربي - تاريخ ونقد.

أ - العنوان

٨١٠,٩

رقم الإيداع: ١١٥٧٧ / ٢٠١٢

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978-977-468-455-5

الناشر
مكتبة الآداب
على حسن
٤٢ سيلان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨
e.mail:adabook@hotmail.com

الإهداء

إلى أسرتي من الشعراء والشاعرات الذين أجدُ
فيهم أهلي وأسرتي...
إليهم أهدي هذا العمل المتواضع

ناصر

تقديم

للناقد السوري الكبير محمد غازي التدمري[*]

من يُمعن النظر، ويعمل فكره، وهو يقرأ كتاب الصديق المبدع «ناصر رمضان» الموسوم بـ «أوراق الخريف» يجد الأوراق الخريفية سرعان ما تتحول إلى أوراق ربيعية، للنقد المتزن، والرؤية المعمقة لكل ما اشتغل عليه المؤلف، وهو يسبر أوراقه عددٍ من المبدعات والمبعدين الذين تناولهم بحسٍ نقدي واضح المعاني، محدد الأهداف والغايات، فانكبّ على موضوعات الكتاب محللًا، كاشفًا، دارسًا وناقدًا مما يشير إلى ناقد واعٍ، ومحللٍ ذوّاقه، مالك لأدوات النقد وأدواته، تصحبه ثقافة نقدية واعية ومتزنة، استطاع خلالها أن يضعنا وجهًا لوجه، أمام تجارب فنية مختلفة في المنهج والأسلوب، وأسهمت رؤيته النقدية، بالكشف عن مضامِنها الإبداعية والجمالية التي استخلصها المؤلف بوعي الشاعر

(*) محمد غازي محمد تدمري الحمصي، ناقد سوري وقاص له أكثر من خمسين كتابًا في الأدب والنقد، عضو اتحاد الكتاب العرب، عضو محكم في كثير من المؤتمرات والمسابقات الدولية. من مؤلفاته: التعبير الفني، لغة القصة، مجالس الشعراء، نظرات في الأدب العربي الحديث.

المبدع، وذائقة الباحث المرهفة، وبراعة الناقد المثقف والجاد مما يجعل الكتاب تجربة تحليلية نقدية واعية، تضاف وبجدارة إلى تجارب النقد التحليلي الحديث.

الناقد السوري

محمد غازي التدمري

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد..

فهذه دراسات تم نشرها في أماكن مختلفة[1] رأيت أن أخرجها في كتاب واحد يحمل اسم أوراق الخريف.

أسأل الله أن تنال إعجاب قارئ العربية ومتذوق الفصحى.

ناصر

---

(١) بعضها نشر كاملًا والبعض الآخر نشر مبتورًا، فرأيت أن أنشرها كما كانت مع بعض الزيادة إن اقتضى الأمر.

قراءة في ديوان من فيض الوجدان[*1]

للشاعرة: جميلة هادي ناصر الرجوي

نشرت هذه القراءة بديوانها المسمى بهذا الاسم عام ٢٠٠٤م – ١٤٢٦هـ ط الأولى.

- **الشاعرة في سطور:**

* جميلة هادي ناصر الرجوي.
* مواليد: صنعاء – اليمن ١٩٦٧م.
* المؤهل العلمي:

دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة أسيوط بمصر – دبلوم خاص في التربية.

* وهي عضو مؤسس لجمعية الشاعرات العربية.
* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
* عضو رابطة الأدب الحديث.
* عضو اتحاد كتاب مصر.

(*)صدر الديوان عن مكتبة الآداب.

* عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفروآسيويين.

* عضو مؤسس بنادي الأدب بالجيزة.

من مؤلفاتها:

١ - محمد علي واليمن - رسالة ماجستير.

٢ - الحركة الطلابية اليمنية في مصر ودورها في الحياة السياسية اليمنية - رسالة دكتوراه.

٣- يهود صنعاء.

٤ - من فيض الوجدان - ديوان شعر.

٥ - إلى حواء - ديوان شعر.

ولها تحت الطبع.

١ - شموع ودموع على عتبات المستحيل «شعر».

٢ - اليمن في حاضر جامعة الدول العربية.

- نشر شعرها في العديد من المجلات والدوريات المصرية مثل: مجلة حواء، مجلة منبر الإسلام جريدة الأهرام العربي، ولها بحوث كثيرة تحت الطبع منها:

١ - الحركة الوهابية التوحيدية «رؤية تاريخية جديدة».

٢ - العلاقات المصرية اليمنية عبر التاريخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة في ديوان «من فيض الوجدان»

للشاعرة: جميلة الرجوي

بقلم الشاعر: ناصر رمضان عبد الحميد

[إلى الذين يحبون الكلمة الرفرافة والحروف الناعمة والشعر الأصيل: أهدي هذه القراءة].

من هناك من قريب، من أرض الأصالة والجمال حيث الوداعة والسكون، الضارِبَيْن في أحضان الجبال، يغرِّد شادٍ، وفي تغريده أملٌ، نعم أملٌ يُحس وعطرٌ يُشم..

إنها شاعرة الفيض، فيضٌ بعطاء، وعطاءٌ بصفاء، تُطوِّف شاعرتنا بآفاق الحياة مصورة أفراحها وأتراحها، وتترجم أحاسيسها نظمًا يسحر القلوب، وينير الدروب، تنتصر لعقيدتها، وترفع شأنَ أمتها، وتبكي على شهدائها.. أنغامها عواطف ونظمها أعطاف، تسمو بالمعاني، فنبعها يضفي على الكون روعةً وبهاءً.. فتجد النفوس الجدباء في شعرها نسيمًا وريًّا.. تجعل من الشعر نايًا يُطرِبُ الكون، والكون يصغي مليًّا..

تبدأ ديوانها بذلك الإهداء الذي يحمل في طيّاته روح الوفاء إلى روح أبيها، مرددة مع عمر كردي صاحب «محبوبتي»:

وكتبـــــتُ أم لم أكتـــــبِ يبقـــى حـــديثُكَ يـــا أبـــي
تبقـــى طيوفُـــك لا تغيـــبْ ونورهـــــا لا يختبـــــي
وتظـــــلُ أنـــــت أبـــــي وأنـــت مُعلّمـــي ومـــؤدبي

تقول شاعرتنا:

«مِن فيض وجداني وشوقي للذي
منح الحياة جمالَها دفئًا
أبي»

والقارئ لشعر الشاعرة يجد الآلام تعلو الأنغام، والأعاصير تجتاح الأنسام، وذلك لما عانته في حياتها وتجاربها، وهذا هو أصدق الشعر، وهي بعد ذلك تلجأ لربها، وهو دليل على قوة إيمانها وتمسُّكها بربها وحبها لدينها؛ ففيه الدواء، ومن مناهله الشفاء، تقف على بابه، وتقصدُ رحابَهُ بعدما عظمَ البلاء تطلب منه الرحمة والعون..:

يـا رب أنـت المبتـدا والمنتهـى أنـــت المعـــز لمـــن تشـــاء
امـــــنح عبـــــادَك رحمـــــةً في الأرض إذْ عظـــمَ الـــبلاء

إن الشاعرة تحيا هموم الأمة الإسلامية، وترثي شهداءَها ليُضاء النور

بكرًا، كما تقول على روح الشهيد المجاهد البطل «أحمد ياسين» في زمن عز فيه الرجال وغاب عنه الأبطال.. لكن الشاعرة تعيد التغني بأمجاد البطولة وتزف لحنها رسالةَ حبٍّ وقربٍ لروح ذلك الشهيد الحي..

قد عاش نبراسًا وآمالًا تُضا يُحيي زمانًا عزَّ فيه الأقويا

مشيدةً بتضحيته وبذله للروح وما أغلاها، لكن حبَّ اللهِ أَغلى وأبقى..

سطرتَ للأجيال نهجًا واضحًا ها قد بذلتَ الروح ما أسخى العطا

ومع الرنتيسي العملاق كانت كلماتها القوية الندية، حين غاب عنَّا هذا البطل، فهد غيابه الفؤاد؛ إذ كانت الجراح ما تزال دامية.. إنه افتتاح يدل على حب الشاعرة لهذا الشهيد:

غيابك هدَّ الفؤادَ الذي جراحاتُهُ لم تَزَلْ داميه

فما إن فُجِعْنا بفَقْدِ القعيدِ يفاجئنا الدهر بالثانيه

إن الشاعرة تحيا بجرح عميق، إنه جرح «بغداد»، وما أدراك ما بغداد!! حوَّلت عالمنا إلى نحيب، وليلٍ لا يغيب، وفي هذه القصيدة يلمح القارئ ذلك البسفور الجديد واللفظ المائي الذي هو أصل الشعر، فالشعر إحساس ومائية، وليس نظمًا مقفى موزونًا وحسب، فدكُّ الحصون ولعبة الشطرنج والقلاع والزوايا والمنائر والرعاة واللعاب

والشاة والحماسة والخيل، وإن كانت الخيل امتطاها «فاروق جويدة» في أشعاره بكثرة، لكن خيول شاعرتنا مسرجة.

اقرأ معي:

تتناطح الأثوار يختلط الصراخ.. لكن
صرخات الألم يغتالها التصفيق والتشجيع
إن الفوز لا لا.. لن يضيع
وتستمر المعركة
تتردد الأصداءُ عائدةً بصوتٍ واحدٍ
يرثي الجميع

لكنني أشفق على شاعرتنا، وأهمس في أذنيها أن القضية من الأساس – كما تقول – خاسرة؛ لأن القلوب صارت صلدة صمّاء، والحياة تطل منها القسوة الحمقاء.. وعاش الجميع على شط الحياة تائهين متكاسلين، لكنه الشعر له عالمه الذي يطل على الورى بروحه مفجرًا ينابيع الهدى في هذا الوجود، ماسحًا ذلك الحسد الذي عنته الشاعرة في نهاية القصيدة:

هل كلما جدَّتْ جراحٌ بالجسد
عدنا لنبدأ قصة الأمس.. بعنوان
التمزق والحسد؟!

❊❊❊

وُلدت الشاعرة جميلة هادي ناصر الرجوي في مدينة صنعاء من قبيلة «أرحب» في أسرة متماسكة البنيان؛ فأبوها كان يعمل في بداية حياته مناضلًا مع الثورة والجمهورية، ثم ما لبث أن تركَ العمل العسكري واشتغل في الأعمال والمشاريع الحرة ونجح فيها إلى حدٍّ ما، وحقق له ولعائلته حياة كريمة وحرص على تعليم أولاده التعليم الديني والدنيوي، حتى أوصلهم إلى بر الأمان، وغرس فيهم بذرة الحب والإيمان.. فنشأت في جو مفعَمٍ بالحب والترابط، ونهلت من حنان والدها ما يكفيها إلى الأبد، فكان لها كالروح للجسد، ويظهر ذلك جليًّا في كثرة حديثها عنه، حتى صار ذكره في مَسمعها وقلبها نشيدًا طروبًا.. وكيف لا وقد كان الأب الحنون فجرًا.. حبيبًا..

نشأت الشاعرة بين أحضان الحب، وما أدراك ما الحب! يشعل النفس حرارة والقلبَ يملؤه أملًا، فترقص الدنيا على نغماته رقصة تزيل كل وجل، لكن هذا الحب سرعان ما انزوى، وفي أحضان الليالي انطوى فمات هذا الحبيب، وطار الضياء، وحلَّق في عالم الفردوس مع الصدِّيقين والشهداء، نحسبه كذلك ولا نزكِّي على الله أحدًا.

لكن الشاعرة هُدَّت وهُدَّ كيانها، غير أنه قبل أن يرحل وضع قدمي طفلته على طريق النجاح، وأجرى بصدرها نهر الحب وبقلبها بحر

العطاء؛ إنه الحب ولا شيء سوى الحب:

أهديتني يومًا عقود الأدبِ
وزرعتَ أحلامي بصدر طفولتي
وسقيتها من نهر حبك كي أرى
يومًا زهورَ سعادتي
تاجًا يكلِّل جبهتي
واليوم مِن ثمر النجاح وزهرهِ
أهديك عرفانًا
حروفي يا أبي

***

ثم ماذا؟

لم تعانِ شاعرتنا ما عانته بنات جيلها في هذه الحقبة من الزمن في أرض اليمن «أقصد الاكتفاء بمرحلة متوسطة من التعليم» إذ كانوا لا يسمحون للبنت بالالتحاق بالجامعة ويكتفون بحصولها على دبلوم المعلمات. والمرأة إلى عهد قريب في مجتمعاتنا الشرقية لا الإسلامية كانت مهمَّشة ولا كيان لها، لكن شاعرتنا واصلت تعليمها بفضل تشجيع والدها.

وفي هذه الفترة لم تكن موهبة الشعر قد بدت على شاعرتنا رغم الطبيعة

العذراء في صنعاء، وما أدراك ما صنعاء!! عذْبٌ هواؤها، صحو جوُّها، ظلٌّ نهارها، يُبلِّل الندى أنسامها، وتَملأ وجهَ ناظريها بكل حسن بديع.

لكن الحرية أبدع، وطموح شاعرتنا إلى آفاق العلا أوسع، والعلم يحلِّق بصاحبه في سماء الفرقد، ويمضي به الإنسان إلى المجد المَنَّع عزمه، لا ينثني دون اعتناق السؤدد[1].

***

ثم ماذا؟

عملتْ شاعرتنا بعد حصولها على بكالوريوس التربية مدرِّسةً للمرحلة الإعدادية والثانوية، وبدأت في نشر بعض مقالاتها في الصحف والمجلات لعلها تجد في ذلك مُتنفَّسًا لطموحها واتساع خيالها، وما زال القريض لا يفيض، وما زالت المعاني حبيسة!!

ولا يخفَى على أحد ما يعانيه المعلم من إهمال وعدم تقدير وقلة دخل، هذا ما لاقته شاعرتنا في بداية تعاملها مع الناس، فإذا بفؤادها يهفو للخلاص، مسترحمًا الزمان؛ كالطير الجريح الذي أوقعته الحبائل فصار بالجهل موثقًا...

---

(١) السؤدد: السيادة.

ما حيلةُ الطير محبوسٌ ولا قفصٌ لـوْ رامَ شـهدًا خانتْـه جناحـاهُ

لكن الإنسان خلقه الله وأعطاه القدرة على الحركة والتنقل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

وهكذا تحركت شاعرتنا وتنقَّلت وكافحت وجاهدت لتكمُل حريتها بتعليمها، والتحاقها بالدراسات العليا، وساعدها على ذلك تفوقها لتكون معيدة، ثم ترسلها الجامعة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من القاهرة.

وهنا تنفجر الموهبة مترجمة خفقات قلبها على صفحات نهر النيل، وعلى نهر النيل تتنسَّم عبق الحاضر، وترنو إلى المستقبل، وتغوصُ والشعرُ قاربها في بحر المعاني، تشدو مع الطيور، وتنسى به الماضي السحيق، تجوب آفاق الأمسيات والندوات، وتصبح مؤسسةً مع نساء جيلها «جمعية المبدعات العربيات».

وهي تردّد مع صان الدين[1]:

أأُفصِحُ أم أموت بما أعاني ... وأمضي بين تيّار الزمانِ

وفي قلبي أناشيدٌ عِذاب ... وفي الوجدان أبكارُ المعاني

وأُطْمرُ تحت أنقاض الليالي ... عديمَ الذكرِ مجهولَ المكان

كأني لم أكن يومًا سَوِيًّا ... ولم أخطر بهاتيك المغاني

ولم يملك جمالَ الكون حِسِّي ... ولم ينبضْ فؤادي بالأماني

ولم أرقص على نغم القوافي ... ولم أشرب من الفصحى بحانِ

أنا قيثارةٌ قد أغفلتْها ... يدُ العُزَّاف إتبانَ الأوانِ[2]

لكن والحق يقال، إن شاعرتنا ذات عزيمة قوية وتحمُّل يصل بها إلى عالم التحليق في السماء.. وطموح لا يقف عند حد بل يتسعُ ويمتدُّ؟ فهي ليست كنساء جيلها، بل تتقوَّى بالله وتمضي وملءُ كفها حب رسول الله ﷺ.. وتعفّ عن سَقط المتاع.. تحدد لنفسها مقصدًا، وتمشي واثقة الخُطى لتحقيقه.. هكذا عهدتها ورأيتها.

---

(١) هو الشاعر الكبير محمد عبد الرحمن صان الدين صاحب ديوان «أعاصير وأنسام» و«الإنسان في الميزان» توفي في يناير ٢٠٠١م رحمه الله رحمةً واسعة.

(٢) إبان: وقت.

يـا رُبَّ أنثـى لهـا عـزمٌ لهـا دأبٌ فاقتْ رجـالًا بـلا عَـزْمٍ بـلا دأبِ
ما قيمةُ المـرء لا علـمٌ ولا عمـلٌ لا في الكتيبـة ترجـوهُ ولا الكتـبِ

ولله درُّ المتنبي:

ولـو كـانَ النسـاءُ كمثـل هَـذِي لَفُضِّـلَتْ النسـاءُ عـلى الرجـالِ
فما التأنيث لاسمِ الشمس عيبٌ ومـا التـذكيرُ فخـرٌ للهـلالِ

وهي تجعل من الإيمان نبراسًا تسير بهديه، وتطلب من مولاها الرضا.. اسمع إليها تقول:

فـإذا النفـوسُ تَغيَّـرتْ غرسـت بهـا قـيم الفـداء
فـامنُنْ إلهِـي بالرضـا وانشُـرْ عـلى الكـون الضـياء

إن شاعرتنا ذات ثقافة عالية ووعيٍ بما يدور حولَها، والشاعر لو لم يكن ذا ثقافة عالية ماتت به الموهبة.. وثقافة شاعرتنا ثقافةٌ ذات صبغة إسلامية؛ يظهر ذلك في معظم قصائد الديوان والتي منها قصيدة تتغنَّى فيها برسول الله ﷺ ويوم مولده، ذلك اليوم الذي أضاء الحياة، فإذا باللحن يُصاغ ليبقى الشعر مع رَسُولِ الله ﷺ على مر القرون لحنًا على الشفاه ترددده الأجيال وتشدو به الأطيار تيَّاهةً نشوى بما حملته من أحلى معين، كشفت بمولده يد الأقدار عن سرٍّ دفين، وكيف لا تتيه والنغمُ

يحلِّق في عالم الذكر؛ فالأرواح خفاقة، والشمس ساطعة، والأفلاك دائرة، والظلال ندية، والنسيم يعانق العطر.

أوصافُ حُسنكَ والأخلاقُ تحرسهُ صِيغتْ قصائدَ حبٍّ حينَما بانا

ومع خديجة الكريمة على حد تعبير الشاعرة، خديجة زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين رضي الله عنها الطاهرة الأبية التقية التي كان يُكثر رسول الله ﷺ مِن ذكرها، عارفًا لها فضلَها، حريصًا على برِّ صويحباتها، إذ كانت له المُعين والصديق والأخ والرفيق، تعينه على نوائب الحياة وتنسيه متاعبها، جلست بين يديه وأنفقت مالها لمناصرته حتى يتفرَّغ للدعوة والدين، فأنفقت بغير حساب، ومنحته ودَّها بكل حنان وصفاء بلا مَنٍّ ولا عتاب.

كريمة القوم قد أهدتك دنيتها اللهُ سخرها ذخرًا وسلوانًا

فنِعْمَ زوج عطوفٌ حينما اتأدتْ تحنو على قلبِ شهمٍ كان ظمآنًا

ويعجبني هنا تعبير «اللهُ سخرها» حيث ينمُّ عن عقيدة صحيحة وفهم لمعايشة الأحداث، وعقيدةُ المسلم أن ينسبَ كل شيء إلى الله.. ولا أنكر أنني تغنيت بشعرها وحفظت منه في رسول الله مِن أبياتها العظام:

يا خاتم الرسْلِ كم جاهدت محتسبًا صَدعتَ بالحق تهدي فيه حيرانًا

فأصبحت أمةُ الإسلام في شمَمٍ الحقُّ منهجُها والعلمُ ريّانا
وتنشر الأمنَ والإيمانَ في بلدٍ تدعو إلى الله أعجامًا وعربانًا
أسَّست بالعدل دستورًا لأمتنا وأصبح الدينُ للإنسان ميزانًا

***

وفي النهاية وحتى لا أطيل... الديوان رائع وجميل.. والشاعرة تمتطي فيه الشعر؛ إذ هو لها قاربُ نجاة ينقذها من الأمواج، فلا تخشى المياه... تسلم له نفسها التي أصبحت مهجورة من أصوات الجمال فلا غرو أن تنحني له وتعانقه عبقًا نديًّا مفعمًا.

بالانتماء
حين انحنى قلبي وخاصمني الهنا
وعلا كموج البحر همّي.. والعنا
فيه تماثلت الجروح إلى الشفا
أسلمته نفس كصحراءِ
يباب
مهجورة إلا من الأصوات
أصواب الغراب

ندّى به روضي... لتسكن مهجتي

روح.. الشباب

❊ ❊ ❊

عانقته عبقًا نديًّا مفعمًا

بالانتماء

ومنحته تأشيرة مفتوحة

كيما يطوف بها مدارات السماء

وبسطت أستار المحبة

كي يعانق فيّ لحنًا للوفاء

هذا وأترك بعض القصائد العاطفية للنقاد والدارسين، لكنما اخترت الجانب الروحي الذي أُبْحِرُ فيه بثقة واقتدار..

أسأل الله أن يوفق الشاعرة إلى ما فيه الخير والجمال.. إنه ربُّ ذلك والقادر عليه.

قراءة في ديوان «فيض الأشجان»(*)

للشاعرة: نوال مهنى

نشرت هذه الدراسة بكتاب «شاعرة من مصر» أشعار ودراسات.
لنخبة من الأدباء والعلماء.

إعداد: أحمد علي حسنه

الشاعرة في سطور:-

* نوال مهنى أحمد أبو زيد.
* من أبناء محافظة المنيا.
* تخرجت في كلية الآداب – قسم الفلسفة وعلم النفس جامعة المنيا.

النشاط الأدبي للشاعرة:

* عضو اتحاد كتاب مصر، ورئيس شعبة الفصحى بالاتحاد.
* عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس شعبة المرأة.
* رئيس النادي الأدبي بقصر ثقافة الجيزة.

ولها الفضل مع مجموعة من الأدباء في تأسيسه.

(*) مكتبة الآداب.

* عضو رابطة الأدب والحديث.

* عضو جماعة ملتقى الأربعاء.

* عضو جماعة شعراء العروبة.

* عضو جمعية الأدباء، وغيرها كثير.

من مؤلفاتها:

١- نبع الوجدان - ديوان شعر - دار الفكر العربي ١٩٩١م.

٢- أغاريد الربيع - ديوان شعر - دار الفكر العربي ١٩٩٣م.

٣- الفارس والأميرة: مسرحية شعرية ١٩٩٥م -دار الفكر العربي.

٤- ذات مرة - ديوان شعر ١٩٩٨ - دار الفكر العربي.

٥- الجميلة والعرَّاف: مسرحية شعرية ٢٠٠٠م، م الآداب.

٦- فيض الأشجان ٢٠٠٦، م الآداب.

٧- أنغام ثائرة - ديوان شعر ٢٠١٠، م الآداب.

٨- أغاني الطفولة - ديوان شعر للأطفال ٢٠٠٠ - م الآداب وغيرها كثير.

حصلت على جوائز عديدة، وأقيمت عشرات الندوات لتكريمها ومناقشة إبداعها.

وسجلت عنها رسالة ماجستير.

الدراسة[1]:

الشاعرة الكبيرة، والأخت الجليلة نوال مهنى غنية عن التعريف، لكني سأتحدث عن شيئين:

الشيء الأول: كيف تعرفت عليَّ.

الشيء الثاني: وقفة مع ديوانها فيض الأشجان.

أما عن الشيء الأول، فمن عجب القدر أني قرأت لها قبل أن أعرفها، ثم التقيت بها بعد ذلك وتعرفت علي وعرّفتها بنفسي، فكانت نعم الأخت.

وعرفت منها أنها عاشت فترة من الزمن مع زوجها الأستاذ كامل فراج «رئيس قطاع التفتيش بالبنك الأهلي المصري» في محافظة الفيوم، وأن زوجها كان صديقًا لعمي محمود رضوان – رحمه الله – مدير بنك القاهرة السابق بالمحافظة، وعرفتني على زوجها الذي رحَّب بي واعتبرني كأحد أبنائه.

والشاعرة نوال مهنى كما عرفتها ودودة، فهي امرأة رقيقة وضيئة تفيض عذوبة وحنانًا، وتحتوي من يعرفها أمنًا وأمان. تقول لي أمام الجميع «يا ابني» «ناصر ابني».

---

(١) زيدت بعض العبارات التي لم تكن موجودة – في الدراسة.

ويشهد الله أنها عاملتني وما زالت كأحد أبنائها، أهدتني جميع إصداراتها من شعر ونثر، وعرَّفتني بمعظم منتديات الأدب التي تقام على أرضُ مصر المحروسة.

أما الشيء الثاني: وهو قصيدنا، فهو ذلك الديوان الرائع «فيض الأشجان»:

والديوان يقع في مائة صفحة بالعنوان والإهداء والفهارس والسيرة الذاتية وقالوا عن الشاعرة.

والقارئ للديوان بعناية ورعاية يلحظ ما يلي:

١- أنه يضم ٤٤ «أربعًا وأربعين» قصيدة، يغلب عليها الطابع الإسلامي فيجعلها دون شك شاعرة إسلامية، فهي مهمومة بهموم أمتها، لكنها في نفس الوقت لا تنسى الرومانسية والجمال، فمع العقل بحثت ومع الشجرة وقفت وفي بيت عائلتها تغنَت وعلى شاطئ البحر ومن وحي الإسكندرية وشوشت.

وهي مع ذلك بشجونها تفيض، فتارة تقسو وتارة تعفو، ومع الزمان بشعرها تفخر، وبحبها تزهو.. تحس الغربة لكنها ذات نفسٍ أبية. ترفض الولائم المسمومة، وتهدي باقة عطرها إلى رفقائها في دنيا الكفاح من الشعراء الراحلين والحاضرين، بشعر رائع وجميل.

وفي الديوان يظهر الوفاء لبنات جنسها، فهي تسمي الشاعرة الفاضلة «نور نافع» بالخنساء، ثم تعود وأشجانها لا تنتهي.. ومن الإهداء يلحظ القارئ أنها أفصحت عن شعرها إذ تقول: إلى المجاهدين بأنفسهم وأموالهم.. المدافعين عن الحق والحرية والكرامة والشرف.. إلى المناضلين بالكلمة.. الداعين إلى العدل والخير والجمال والفضيلة.. أهدي فيض أشجاني.

وتبدأ شاعرتنا «ديوانها» ساعية إلى الله.

ولننظر بماذا تسعى.

تسعى بروحها وقلبها، بل بكل كيانها، وبين حناياها شجون ومع الشجون هموم ومع الهموم غيوم ومع الغيوم دموع ومع الدموع خشوع.

خشوع بثناء وثناء بصفاء وصفاء بإخاء.. إخاء لا يعرف الجفاء في زمنٍ تكالب علينا الأعداء.

سعيت إليك بروحي وقلبي ... بكل كياني أتيت ألبِّي
وأحمل بين الحنايا شجونًا ... ودمعي يفيض خشوعًا لربي
فيا ليت أحصي ثناءً عليك ... أنر لي بنورك نفسي ودربي
فأنت إلهي السميع العليم ... وأنت معيني وجاهي وحسبي

وكأنها ترد مع الشاعر الكبير محمد التهامي.

إني ذكرتــك خاشــعًا بمــدامع ذابــت لفــرط حنيــنهن شــجون

مع ربها تحيا فتطلب منه الدعاء؛ لأنه سبحانه العالم بالأسرار، الذي يغفر الهفوات، فمن سواه يرتجى؟!

مــا غيــر بابــك مقصــدي مــا دونــهُ محــضُ الســراب

حبــي إليــك وســيلتي أدعــو وأمعِــنُ في الخطــاب

وكأنها تردِّدُ مع الشاعر صان الدين:

إيــاك يــا رب الخلائــق نعبــد ولعــزك الأسـمى خشـوعًا نسـجدُ

مــن خــالق مــن راحــم مــن قــادر في الكــون غيــرك نرتجيــه ونقصُــدُ

لا شــيء إلا أنــت يــا نــور الوجــو دِ وإن تعــامى عــن ســناك الملحِــدُ

***

ولله درّ الحملاوي:

أنا عبدك الراجي وأنـت المرتجي حاش أصادف غيـر بابـك مرتجـى

مــا هــب مــن سِــنَةِ الصــبا إلا رأى تــاج المشــيب لرأســه قــد توّجــا

فأتــاك يرجــو العفــو منــك وإنــه من جاء يرجو العفو منك فقد نجـا

ثم هي تحفظ حديث رسول الله ﷺ القائل: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

فإذا بشجونها تصل إلى هناك... إلى القدس.. إلى بغداد.. إلى الشيشان.. إلى كوسوفا.. فلعلها بشجونها تنفِّس عن كروبنا.. معلمة أدعياء السلام أن القدس لن تعود بالمصالحة والكلام، بل بالجهاد ولا شيء غير الجهاد، محيية رجال حزب الله، واصفة إياهم بأنهم رجال الحق[1] وأنهم الشرفاء وكبار النفوس، حماة الأرض والعرض. وتوجه رسالة رقيقة نديّة قوية إلى كل حاكم أو زعيم عربي قائلة له: «لا تصالح» مستوحية فكرتها من الراحل أمل دنقل في قصيدته الرائعة «لا تصالح»، لكن شاعرتنا تجعل من القضية أمانة وفي ضياعها خيانة للأنبياء، وكيف تصالح من خانوا الأنبياء وقتلوا الأبرياء، وأراقوا الدماء..:

لا تصالح.. لا تصالح
لا تفرط في الأمانة
إن في الصلح مهانة
وخضوعًا وإهانة
وخنوعًا وإدانة
لا تصالح.. لا تصالح:

---

(١) لعل الشاعرة لو رأت ما نراه الآن في سوريا والتدخل السافر لحزب الله وإيران لغيرت رأيها.

من يخون الأنبياء

من يهين الأبرياء

من يريقون الدماء

إنهم في الأرض داء

كاشفة عن أن القضية قضية مصالح.

لا تصالح.. لا تصالح

من ترى في الحق راجح

من ترى في الصلح رابح

هل حقوق أم مصالح؟

إن ديوان «فيض الأشجان» يستحق الدراسة والتعمق وليس لمثلي أن يتحدث عنه في دقائق.

وأختم قراءتي عن هذا الديوان بهذه القصيدة الرائعة التي تُحكى على لسان طفلة عربية إلى طفلة عربية أخرى، كانت الأولى مرفَّهة ناعمة تنام على السرير، وتلتحف بالحرير، والثانية تكسوها البراءة، وترنوا إلى الأفق الرحيب، بقلب غض نضير، تسير مثل الفراشة تزهو وتطير، بالحب ومع الحب تحيا، نعم تحيا كالزهور.. ولكنها فجأة ودون سابق إنذار يغتالها وغدٌ حقير.

وشاعرتنا تصوغ قصيدتها في فن حكائي رائع للطفلة الأولى المرفَّهة، وكأنها قصص ما قبل النوم للأطفال المسلمين من حولها. وهذا ما نحتاجه في هذه الأيام فالجيل ينشأ على عدم المعرفة بالعالم العربي والإسلامي من حوله، بل يكفيه أن يعرف مدرسته وحسب، ولغته الأجنبية التي يتعلمها وحسب:

نحكي معًا يا طفلتي
قبل المنام على السرير
إذ أنت في حضن الأمومة
ترفلين على الحرير
عن طفلة عربية
في رقة الزهر النضير
تكسو البراءة وجهها
حملت حقيبتها تسير
ترنو إلى الأفق الرحيب
بقلبها الغض الصغير
وتسابق الخطوات مثل
فراشة تزهو تطير

خطواتها مملوءة

بالحب بالحلم الكبير

إنها ترسم صورة رائعة لهذه الفتاة الصغيرة -حين تسابق الخطوات كالفراشة التي تزهو بطيرانها وتحليقها فوق الأرض، وهي تحلم بالحب ومن ورائها تمشي البنات الباسمات كما الزهور. في هذا الجو الباسم والوجه الحالم تمتد يد الغدر إلى هذه الطفلة التي ما ارتكبت إثمًا ولا جرمًا وأين العالم العربي والإسلامي.

هذه الفتاة التي تصدح بكل ألوان السعادة والسرور وترفرف بحلمها على الخمائل والجداول والجسور.

وتبادل الشمس في سبحاتها كأس الفرحة والطمأنينة والرضا والأمل بها من الوداعة والأمان ودفء المشاعر الطفولية التي نحتاجها في هذه الأيام، ما يكفي ليزيل الغشاوة والكآبة عن عيوننا، إنهم الأطفال صوت الرحمة في هذه الأرض المليئة بالغدر والأنانية، التي تغتال أحلى ما لدى البشرية جمعاء.. إنهم الأطفال.

لكنها في لحظة

تُغتال من وغد حقير

حمل البنادق مسرعًا

متتبعًا خط المسير

قتل البراءة عامدًا

في قسوة الحقد المرير

إنها الحضارة الغربية التي زرعت لنا إسرائيل حين تكالبنا على السلطة ونسينا أطفال فلسطين[1].

وأين العرب؟ إن صراع الغرب مع العرب حسم بضربة قاضية ألا وهو زرع إسرائيل.

يا بني عدنان أو قحطان

أين اليوم أنتم

من زمان فيه فوق الأنجم الزهراء كنتم، حينما أتحفتم الدنيا بعلم قد علمتم، حين كان الأمن والإيمان في شعبٍ حكمتم.

إن شاعرتنا بقصيدتها الرائعة تبعث رسالة إلى المرفهات من البنات النائمات على الحرير أن أحِسّوا بنا وبشعبنا، لعل شبح الحرب يُوقف عند هذا الحد. لكنها في النهاية تضع باقة أمل وأن الظلام لابد يعقبه نور، داعية ابنتها في النهاية إلى الثورة:

---

(١) واليوم أطفال سوريا وقبلها أطفال العراق ومازال العرض مستمر.

ما زالت الحرب البغيضة
في ضراوتها تدور
والثأر باقٍ علّه
أن يعقب الإظلام نور
ولأننا يا ابنتي
من أجل عزتنا نثور

«عمر المختار» وحاضرنا اليوم

نموذج من شعر الحضيري

نشرت هذه الدراسة في كتاب عمر المختار ومقاومة العراق الباسلة عام ٢٠٠٥م، عن م جهاد للنشر والتوزيع.

الدكتور. محمد حامد الحضيري في سطور:

جاء في معجم الشعراء الليبيين

«شعراء صدرت عنهم دواوين الجزء الأول دار مداد»[1].

الشهادة الجامعية:

* حصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس بالقاهرة.
* عضو في عددًا من الملتقيات والندوات الأدبية.
* مارس التدريس الجامعي من خلال كلية الآداب جامعة قاريونس.
* من كتبه: النضال الثوري في الشعر العربي ١٩٩٠.
* أهمية الأدب ومهامه في النقد الأدبي الحديث.

---

(١) جمع وإعداد عبد الله سالم مليطان.

دواوينه الشعرية:

* أصداء العشق والحرية - رابطة الأدب الحديث ط أولى.

* عزف القلوب للثورة ١٩٩٢ ط أولى.

* آذان الفجر - رابطة الأدب الحديث.

* أحلام السنين - رابطة الأدب الحديث.

ثم بعد أن تعرفت عليه أهداني أطال الله في عمره مؤلفاته وهي كالتالي:

- الأعمال الشعرية الكاملة في عشرة مجلدات.
- الثورة في القرآن.
- رسول الإنسانية - محمد ﷺ - في الأدبي العربي الحديث.
- شاعر الوطن أحمد رفيق المهدوي بين شعراء النضال.
- النضال في شعر السيرة النبوية عند أحمد شوقي.
- نضال المرأة في الشعر العربي الحديث.
- النقد الأدبي الحديث في تطوير الشعر العربي.
- النقد الأدبي الحديث في تطوير الأدب المسرحي.
- النقد الأدبي الحديث في تطوير الفن القصصي.
- قصيدة اللغة في النقد الأدبي الحديث.
- الخطابة الثورية في الأدب العربي.

- الأدب الثوري شكلًا ومضمونًا وغاية.
- الشعر الثائر نداء العصر – ديوان شعر.
- عمر المختار في التاريخ والأدب وفي عيون الشعراء.
- عمر المختار في الذكرى الثالثة والستين لاستشهاده.
- عمر المختار والانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

معظم هذه الكتب نشرت بمكتبة النهضة العربية أو توزيعها.

الدراسة[1]:

بداية تعرفت على الدكتور محمد حامد الحضيري عن طريق الشاعر الكبير أحمد عبد الهادي - رحمه الله - كنت ذات يوم أجلس معه في منزله بعين شمس وكانت المكتبة تحاصرنا من كل مكان بل تضيق عليه رحمه الله فما بالك بالضيوف، وكان يسمح لي أن أتحرك في المنزل كيفما أشاء وأن أقلب في المكتبة كيفما يحلو لي. وكان كلما أعجبني كتاب أو ديوان أعطاه لي على الفور، وذات مرة وأنا أقلب في الكتب كعادتي، وقعت عيني على الأعمال الكاملة للدكتور محمد حامد الحضيري «شعر» في ثمانية مجلدات[2].

فسألته من هو الدكتور محمد حامد الحضيري؟

الدكتور الحضيري شاعر ليبي مقيم في مصر هربًا من القذافي.

- لماذا؟

- لأنه إنسان حر وثوري بطبعه، وهو مقيم في مصر كلاجئ سياسي.

- وأين يسكن؟

---

(١) مع بعض الزيادات والحذف.

(٢) اكتملت بعد ذلك وصارت عشرة.

- بالمعادي.

- وكيف أتعرف عليه؟

- الأمر بسيط، هو يقيم ندوة شهرية بمنزله بميدان الجزائر وستذهب معي وأعرفك عليه.

وبالفعل ذهبت مع الأستاذ أحمد عبد الهادي وتعرفت على الدكتور محمد حامد الحضيري.

فوجدته بالفعل إنسانًا ثائرًا، كريمًا إلى أبعد الحدود، بيته مفتوح للجميع، ووجدت عنده في المنتدى الأستاذة عايدة أبو زهرة عليها رحمة الله والأستاذة العراقية سهيلة الحسيني عليها رحمة الله والشاعر محمد يونس والشاعرة فاطمة السيد، والشاعر إسماعيل بخيت، والورداني ناصف عليه رحمة الله، والشاعر محمد علي عبد العال رئيس رابطة الأدب الحديث، والشاعر الدكتور سمير القاضي، والشاعرة نجاة شاور ربيع عليها رحمة الله، والشاعر أبو سعاد، والدكتور عبد المنعم يونس، والدكتور علي صبح، والأستاذ محمد عبد الخالق، والشاعر سيد جبر رحمه الله، وأحيانًا كانت تأتي الدكتورة هدى جمال عبد الناصر، والشاعر عبد الغفار الدلاش عليه رحمة الله، والشاعر الشيخ أحمد عبد الخالق عليه رحمة الله، والأستاذة نوال مهنى والشاعر الدكتور إبراهيم عبد اللطيف،

ود/ سامية موسى، والشاعر عبد الرازق الغول رحمه الله وغيرهم الكثير.

ونشر لي الدكتور الحضيري قصيدة في الجزء التاسع من الحضريات عن فلسطين ونشر لي ثلاث دراسات. الأولى التي بين يدي القارئ، والثانية عن عمر المختار، والثالثة عن التصوف والحاجة صوفية حامد الحضيري.

بسم الله الرحمن الرحيم

كان بودِّي أن أختار أمثلة لكلمتي من القصائد العصماء التي قدمها شعراؤنا مسبقًا في إحياء ذكريات المختار السابقة وفيها الجميل، وفيها الشكل الفني الرفيع، وفيها المضمون الهادف البناء، ولكنني اقتصرت الطريق، ووجدت نفسي أحقق الهدف الذي أرنو إليه فيما قدمه أستاذنا الحضيري في قصائده وأرجو الله أن يوفقني لأدلو بدلوي مثل من قاموا بجهد عظيم في إحياء هذه الذكرى.

ولعل ما أقدمه يكون عونًا لدارس متفرغ يعكف على شعر الدكتور الحضيري ويبذل جهدًا يستحقه الشاعر[1]، فأنا سأكتفي بما يغطي ما نحن بصدده من مكافحة الاستعمار والصهيونية من استلهام مآسر المختار القتالية بما تتطلبه قضايا أمتنا المعاصرة! وما ترنو له مشكلاتها من حلول ناجحة. وعنوان كلمتي «عمر المختار وحاضرنا اليوم» نموذج من شعر الحضيري، والذي يطالع شعر الدكتور الحضيري في جميع دواوينه يجده ينطق ويطفح - إن صح التعبير - بالثورة والجهاد، وما الشعر إلا ثورة عارمة على الفساد والاستبداد.

---

(١) وقد كان وتفرغ الباحث أحمد بسيوني لشعر د/ الحضيري وحصل به على رسالته للدكتوراه.

حتى أنني لأزعم أنه لا يوجد شاعر سبقه في هذا المضمار، حتى لتظن وأنت تقرأ شعره أنه شاعر فلسطيني وأنه عاصر النكبة والاحتلال والطرد والهجر والتشريد إلخ..

إلى آخر هذه المفردات التي يجدها الإنسان في شعر شعراء من أمثال عبد الكريم الكرمي «أبو سلمى» وتوفيق زيادة، وعبد الرحيم محمود، ومعين بسيسو ومحمود درويش إلخ.

لكنك تفاجأ أن شاعرنا ليبي وقضى معظم حياته في مصر، لكنه يحمل قضايا أمته بين جنبيه.

مثله في ذلك مثل شعراء الرابطة القلمية الذين هجروا[1] أوطانهم في بداية القرن التاسع عشر لكنهم ما نسوا أمتهم العربية بل غلب على شعرهم الروح الشرقية.

يقول ميخائيل نعيمة في قصيدته «أخي» عن الحرب وويلاتها، وبأي شيء ترى ستذكره الحرب سوى ببلاده ووطنه الأول الذي تركه في ظروف أشبه بظروف الدكتور الحضيري مع الفارق، فالحاكم الظالم

---

(١) الرابطة القلمية تأسست عام ١٩٢٠ - وأول من أسسها جبران وميخائيل نعيمة، وعبد المسيح حداد إلخ.

كالمحتل الغاشم، فكلاهما يؤدي إلى الفساد والخراب وقمع الحريات.

يقول ميخائيل نعيمة:

أخـي مـن نخـش؟ لا وطـن ولا أهـل ولا جـارُ

إذا نمنـا إذا قمنـا ردانـا الخـزي والعـار

لقـد خمـت بنـا الـدنيا كمـا خمـت بموتانـا[*]

فهـات الـرفش[2] واتبعنـي لنحفـر خنـدقًا آخـر

نوارى فيه أحيانًا

والدكتور الحضيري في شعره الثائر أو إن صح التعبير في جزء كبير من شعره يستدعي البطل عمر المختار فهو في الأصل فدائي مثله ثوري من الطراز الأول وعاشق لعبد الناصر يقول على لسان الجندي المقاتل:

أنا رابض عن القنال.. أنا والرجال

والنار في دمنا تزغرد للقتال

أنا والرجال جميعنا عند القتال

متأهبون.. متربصون

(*) خمت: ضاقت.

(٢) الرفش: ما يحمل فيه التراب بلهجة لبنان وعندنا «كريك»

والثأر يصرخ في العيون
أنا لن أهون.. لا لن أهون

إنه الدكتور الحضيري يعارض شوقي في قصيدته الرائعة التي كتبها عام ١٩٣١ حين قبض الطليان على عمر المختار وأعدم أو إن شئت قل استشهد من أجل الدفاع عن وطنه

يقول شوقي:

ركـزوا رُفاتـك في الرمـال لـواءَ ... يستنهض الوادي صـباحَ مسـاءَ
يا ويحهم نصبوا منـارًا مـن دم ... يـوحي إلى جيـل الغدالبغضـاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة في غـدٍ ... بـين الشـعوب مـودة وإخـاء؟

يعارضه الدكتور الحضيري بقصيدة احتوت على قيم كثيرة لاستلهام القدوة لمقاومتنا في العراق، وانتفاضتنا في فلسطين أو غيرها من بلاد العرب والمسلمين، وهو يستدعي الشخصية التراثية أو الشخصية القريبة المعروفة للجيل الحاضر الواعي بقضايا أمته ووطنه. طالبًا من المختار أن يعود ويفجر ثورة إلى أن تعود الأمور إلى نصابها الصحيح[1].

انهض يـا مختـار فجـر ثـورة ... تثري النضال وتلهم الشـعراء

---

(١) يلاحظ أن ذلك كان عام ٢٠٠٥ وان الدكتور الحضيري يتنبأ بالثورة على الظلـم والفساد قبل مجيء الربيع العربي.

أن يبعثوا نهجًا قويمًا في الجها د رســـمته للثـــائرين لقـــاء
وهو الذي ما زال يرشـدنا إلى أن نستعيد لقد سـنا الأضـواء

ثم يتحدث الدكتور الحضيري:

عن أن عمر المختار سيظل رمزًا للوفاء والفداء والجهاد وليس أولئك الذين ادعوا الثورة من أمثال القذافي وأذنابه، وأنهم من حرروا الوطن ونسبوا كل شيء إلى أنفسهم، وتناسوا من سبقهم من الشهداء الذين قدموا النفس والنفيس من أجل الوطن.

عمر الشـهيد يظـل رمـزًا للوفـا ومنـالَ مـن رام القتـال فـداء
هو قدوة التحرير في ساح الردى خبـــر الحـــروب قيـــادة وأداء

ويفصح الدكتور الحضيري عن غاية الجهاد عند الشهيد عمر المختار.

طلب الجهاد فريضة وفضيلة ليحوز من رب السماء رضاء

والذي يعرف الدكتور الحضيري ويواظب على حضور ندواته يجده. ثائرًا بطبعه، بل ويحث الناس على الثورة ويحث الشباب على المقاومة في كل وقت وفي كل مناسبة وهذا ما دفع الكثيرين من الحضور إلى الاختفاء والخوف على أنفسهم من هذا الرجل الذي يعتبرونه مجنونًا في ذلك الوقت.

فلا حديث له غير الجهاد والثورة وعمر المختار.

كان ذلك في أعقاب غزو أمريكا للعراق، وكان الدكتور الحضيري عاشقًا لصدام.

ينشد فيه الشعر ولم أجد فيما قرأت وطالعت أحد نظم شعرًا في صدام مثل الدكتور الحضيري والشاعر السوري محمود السيد الدغيم[1] الذي يقول:

بكـى العـراق ونكسـت أعـلام ... وتجاسـرا العمـلاء يـا صـدام

يا فارس الميدان في يـوم الـوغى ... منـي عليـك تحيـة وسـلام

صلى عليك العرب يا أسد الشرى ... والمخلصـون وصـلَّت الأقـوام

والشاعر الدكتور عبد الولي الشميري الذي يعجب بصدام ويبعث بقصيدة على لسانه إلى الزعماء العرب في قمتهم بتونس:

يـا قمـه الزعمـاء إني شـاعر ... والشعر حـرٌّ مـا عليـه عتـابُ

إني أنـا صـدام أطلـق لحيتـي ... حينًا ووجه البدر ليس يعـاب

وأتساءل هل ترك لحيته وهو رئيس أم حين هرب؟ إن غباء صدام من

---

(١) ومن أشهر من مدح صدام: الشاعر العراقي: عبد الرزاق عبد الواحـد، والشـاعر العراقي فائز الحداد.

وجهة نظري هو الذي أودي بالعراق، رغم حبه للعراق فهو إنسان وطني لا أنكر، ويحب وطنه «العراق» لا يختلف على ذلك اثنان لكن السياسة فن الممكن والمتاح، ولا سيما والعراق مليء بالطوائف ومنقسم إلى شيعة وسنة وأكراد إلخ، وحدوده ملتهبة، إلخ لكن الدكتور الحضيري ما أن غزا الأمريكان العراق إلا وأصبح ممسكًا بقلمه ثائرًا على صفحات الورق والندوات حتى فر منه الجميع، وهو يحارب بقلمه ويستدعي صديق كفاحه كما كان يقول عمر المختار فهو كافح بالسيف و«البندقية» وشاعرنا كافح بالقلم، يستدعيه ليقاوم ضد الأمريكان وضد الروس وضد إسرائيل مشيدًا بجهاده في ليبيا وحذوه حذو حمزة رضي الله عنه والزبير وطلحة رضوان الله عليهم أجمعين.

يـا مـن عشـقت الخيـل والهيجـاء ... ورفعـت غضـبًا تـردع الأعـداء
رعفـت سـيوفك مـن رقـابهم دمًـا ... وإذا رميـت رمـى الإلـه بقـاء
وجعلـت مـن آي الجهـاد تيمنًـا ... مستمسـكًا بـالحق جـل عـلاء
والصـبر و الإقـدام فيـك شـجاعة ... وسـلاحك الإيمـان كـان وقـاء
الله أكبـر يـوم صـلت مهاجمًـا ... نزلـت عـلى جنـد الطغـاة وبـاء
وحـذوت حمـزة والزبيـر وطلحـة ... نهجًـا لتحمـي بـدرنا الغـراء

ثم يستدعيه كما قلنا ليربط الماضي بالحاضر ارتباطًا وثيقًا ولو أخذ الناس العبرة من الماضي ما ساء بهم الحاضر.

مختار قم واضرب عدى أشرارًا ... بغداد نادت أن نرد الثأر

دكوا المساجد والكنائس دونما ... سبب سوى أن يقمعوا الأحرارا

يحيون بين ترابنا مستأسدين ... ونحن نحيا بينهم كأسارى؟

انهض يا مختار وانظر ما جرى ... بغدادُ أضحت للعداة مزارا

هذا هو الدكتور الحضيري وهذا هو شعره يستلهم فيه القدوة من المجاهد عمر المختار، ويشكو له ما أصاب أمتنا من تحديات واعتداءات ظالمة، ولعل القارئ لشعر هذه الفترة يلمح العامل النفسي فلا يوحد شاعر عربي إلا وتغنى بالعراق ونادى بالجهاد، ثم ما لبث الأمر أن نُسي.

إلا شاعرنا الحضيري ظل وسيظل إلى أن يلقى ربه يدافع عن قضيته في شعره ونثره وكتبه، تلمح هذا اللون الثوري الرائع الذي تفرد به دون غيره. وفي كل مرة يستدعي المجاهد عمر المختار في صورة بلاغية رائعة تتحرك مع الشعر كأنها حركة الحياة مخاطبة ومناجاة وحكاية لا تنسى على مر العصور، وليس في ذلك تصوير فحسب، بل الحقيقة أن المختار يعيش مع الدكتور الحضيري في بيت واحد وعقل واحد، وفكر واحد وعقيدة واحدة، إنها الثورة على الفساد والاحتلال والظلم والاستبداد.

وإذا كان المجاز والتشبيه من البلاغة يزينها نضارة وحسنًا فالحقيقة لدى الكلمة أبدع إذ هي الأصل.

وشاعرنا الكبير مزجت روحه بروح المجاهد عمر المختار فلا تعرف أهي الحقيقة أم المجاز.

فحين تريد أن تكتب عن عمر المختار متخذًا الدكتور الحضيري نموذجًا تجد أسلوبه قشيبًا «جديدًا»، وقويًا ممتعًا تختلط فيه روح الشعر بروح النضال بروح الحب والوفاء. فعمر المختار ناضل بسيفه وناضل شاعرنا بقلمه، فكلاهما وجهان لعملة واحدة وأشهد أنها عملة نادرة صهرت في بوتقة الإيمان، وتغذت على عقيدة القرآن، وعاشت على أنغام سيد الأنام وصارت الأنغام أحلامًا، أحلام بطموح وطموح بكفاح، وكفاح بنجاح، ونجاح بفرحة، نعم فرحة النصر أو الشهادة.

﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[التوبة: ٥٢].

وفي النهاية لم أجِد فيما قرأت أحدًا كتب عن عمر المختار مثل ما كتب الدكتور الحضيري عنه، ولا عقد له الندوات واحتفى به مثل الحضيري.

تحياتي له وإعزازي

ناصر

الجانب الإنساني والصوفي

في حياة الأستاذة: عائدة أبو زهرة

الأستاذة عائدة أبو زهرة في سطور:

١- من مواليد ١٩٣١م.

٢- تخرجت في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية.

سافرت إلى المملكة العربية السعودية معارة للعمل ثم عادت بعد قضاء ما يقرب على خمسة عشر عامًا أو أكثر.

من مؤلفاتها:

١- على ضفاف الحياة.

٢- أيام وذكريات.

٣- قطوف دانية.

٤- بسمات على شفاه (مجموعة قصصية).

توفيت عليها رحمة الله عام ٢٠٠٥م، والدراسة كانت معدة للنشر مع مجموعة من الدراسات التي كان من المفترض أن يقوم على إعدادها وإخراجها للنور الدكتور ناصر وهدان.

وعقدنا لذلك لقاء في منزل ابنتها بالهرم بحضور لفيف من الأدباء والشعراء والنقاد لكن الدكتور ناصر وهدان اختفى بعدما أخذ الدراسات ولم أعد أسمع عنه شيء.

والحمد لله أنني ما زلت محتفظًا بالأصل الورقي معي.

إلى أمي عائدة[1]

من حقها عليّ أن أتحدث عنها وعن إنسانيتها. وقد عرفتها عن قرب فوجدت فيها معاني الإنسانية النبيلة. عرفتها كريمة، عرفتها نزيهة، حنونة عطوفة.

تعاملني كأحد أبنائها.

كانت والله يشهد كالبدر أنى التفت وجدته يهدي إلى عينيك نورًا رائعًا، وكالبحر في الصبر والثقة في النفس يخافه الناس وهو يحنو عليهم.

على ماءه وتحت سماءه تعيش الحيتان، تعيش كدنيا الإنسان يأكل كبيرها صغيرها، والبحر ساكن وسكونه حاني، وإن بدا للعين أنه مخيف فهو سر بقاء الحيتان. لكن لا ينظر إليه أحد، يغشاه الصيّاد فينظر إلى رزقه ولا ينظر إليه. والبحر من فضل الله ورزقه يعطيه ولا يضن عليه.

هكذا كانت أمي عائدة وهكذا عرفتها. حين أخذت على عاتقها الحديث عن أولئك الشعراء الذين يُقبرون وهم أحياء.

فأرسلت قطوفها الدانية حسب ما تهوى خلجات نفسها، ويراعها ملك يمينها يعبر عما يجيش في صدرها من معانٍ صافية، ومعانيها قيثارة

---

(١) الجانب الإنساني والصوفي في حياة الأستاذة عائدة أبو زهرة.

حب، والحب إشراق وقرب، وفي القرب صفاء، صفاء يلزمه عطاء، ومع العطاء وصال، وفي الوصال جمال، و الجمال قادر على أن يفتح للناس آفاقًا رحبة تعيد إلى وجوههم البسمة والأمل. ليجوب الإنسان آفاق الوجود بنفس راضية مطمئنة، نغمها جميل، وفكرها سابح في عالم لا يعرف الخوف.

تقول أمي عائدة أبو زهرة تحت عنوان «ما لي في الكون سواه»:

«ما أجمل أن يذوب الإنسان في حب الله. ما أجمل أن يقف خاشعًا متأملًا مفكرًا في ملكوت الله. ما أجمل أن يتجه بقلبه بحسه بسمعه ببصره بكله إلى الله»، أنها كلماتٌ من أعماق أعماق قلبها، وقلبها ترنيمة عاشق تحلق روحه لتعلو وتسمو، تعلو بحبها حين تسبح في ملكوت الملكوت وتسمو مع النجم في علاه تناجيه وتسمع نجواه فتهتز جوارحها وتهيم روحها في هواه، فينطق اللسان أنت أنت الله.

سبحت باسمك مذ عرفت لساني وأدمت ذكرك مذ وعيت كياني
وسما بإحساسي وفيض مشاعري شوقي وهام الوجد في وجداني
ووجدت آيات التجلي والهدى فاقتادني شوقي إلى إيماني

كنت أقرأ لها فأحس أن ريشة فنان ترسم زهرة أنيقةٍ جميلة ذات أغصان

حانية، والزهرة فوَّاحة، يفوح شذاها، فتتغذى النفوس وتنتعش القلوب.

إنها الصوفية الحقة، بل الإنسانة في أسمى معانيها، فالإنسان بفطرته يُخلق ليَعرف ويُعرف.

يعرف ربه حين يراه، نعم يراه في أي شيء يراه. تقول أمي: «أراه في كل يدٍ كريمة تمسح دموع الأشقياء وتعيد البسمة إلى شفاه الأبرياء، وتأخذ بيد الضعفاء. تضمهم وتشعرهم بعناية الله التي ترعاه وتستجيب إلى نجواه».

هنا يكون الخشوع والرضا الذي يجعل الإنسان كالطير يحيا رفرافٌ نضير.

فتبتسم الحياة لكل حيّ ... ويعبق في جوانبها عبيرُ
سواء من تفيأ ظل كوخ ... ومن ضمته في النعمى قصورُ
ألا ما أجمل الدنيا وأصفى ... إذا صارت بما يقضي الأمور

تقول أمي: «أقف خاشعة بين يديه، بعيدة عن كل زينات الحياة، فتلمسني نغمات عطرة من سناه ويضمني عبير هداه».

هكذا تبدو أمي الحبيبة كما كانت تقول لي أنت ولدي هكذا تبدو أمي في المحل الأرفع لنفسها كما يقول ابن سينا متحدثًا عن النفس:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

والمعنى: هبطت إليك أيها الإنسان يا من تحيا في عالم الكون من عالم المكنون، وكنّى عنها بالورقاء التي هي الحمامة لما تحمله من معان الخفة في الحركة والدعة والتواصل والسلام إلخ، ولابد أن يكون بين عالم الكون والمكنون تواصل وقرب وحب إلخ.

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقـــاء ذات تعـــزز وتمنـــع
محجوبة عـن مقلـة كـل عـارف ... وهـي التـي سـفرت ولم تتبرقـع
وصلت عـلى كـره إليـك وربمـا ... كرهت فراقك وهـي ذات تفجـع
وأظنهـا نسـيت عهـودًا بـالحمى ... ومنـــازلًا بفراقهـــا لم تقنـــع

لتخرج من ذلك الصلصال إلى عالم العلو والجمال يقول «جون هرمان راندال»: «إن الحياة الإنسانية لا تكتسب معنى إلا بمقدار ما يرفع العقل فوق عالم الحس ويتصل بعالم المثل».

ولا يتحقق ذلك إلا إذا ارتفع الإنسان عن الشهوات ورفرفت روحه مع الحب بكل معانيه السامية، فتشاع في نفس المحب السكينة والطمأنينة، هكذا كانت أمي عائدة أبو زهرة. تعود إلى ربها كلما ضاقت بها الدنيا وكأنها تردد مع شاعرنا الدكتور أحمد عمر هاشم:

قد جئت بابك أهرعُ

وإلى رحابك أفزع
إني أحبك والمحبة في الحشا تترعرع
وعلى مناخ الشوق آيات الهوى تتضوع
الوجد برعم آيها والشمس منها تطلع
ما الشمس تهجر خدرّها ما كوكب لا يهجع
قلبي سمعت هتافها يا ليتني أتسمّع
فالشمس حين تطل تهتف أنت أنت المبدع

تقول أمي:

«إذا ضاقت بي الدنيا وجفاني من كنت أرجو حماه، أتيت إليك يا ربي. أترك زادي وجسميَ لتُعْلم الحائر أن له ربًّا يلوذ به وأن الكون له إله وخالق ومالك ورازق ليعود إليه الإنسان والعوّد أحمد.»

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالكون يدور له خالق
أزلي المجد بلا سابق
أبدي ليس له لاحق
والله بلا حدٍّ أحدُ

والفرد الواحد والصمدُ

لم يولد ليس له ولدُ

وهو المعبود هو السندُ

وفي النهاية أتذكر محطة الوفاء والأمل بشارع الهرم حيث كانت تقيم أمي عائدة عليها رحمة الله، أتذكر محطة الوفاء التي تحثنا على الوفاء والأمل في غدٍ مشرق لشبابنا وأمتنا، أتذكر أيام كنت أذهب إليها لأقدم لها العضويات التي تريد أن تنتسب إليها فأقوم على خدمتها في حب ورضا دون مقابلٍ إلا من الدعاء.

أتذكر كرمها وعطاءها وحبها لي كأحد أبنائها وسؤالها عني وهداياها التي كانت لا تتوقف، أتذكر ذلك الشارع الذي أظنه أصبح خاليًا من الأزهار والجمال، خاليًا من الذكريات، خاليًا من البسمة المرسومة على شفاه الناس يوم أن كان الحب يجمع بينهم.

الدرب عجوز منطفئ

مالت من همٍ كتفاهُ

فلمن سيبوح بشكواه

والدنيا قلبت دنياه

* * *

وأعود مع الدرب الخالي
والدرب يسائل عن حالي
خطواتي بين جوانبه
مائلةٍ من زمنٍ خالي
يومًا: كفكفت به دمعي
ورتقت به قلبي البالي
أمضي والدرب يناديني
ويراود شوقي وحنيني
ويقود خطاك لديّ هنا

❊ ❊ ❊

عودي بالله وزوريني
عندي مِن أمس بقيتهُ
قطراتٌ من عطر سنيني

❊ ❊ ❊

يا أمي والدرب بدونك
يؤلمني دومًا يشقيني
سأراكِ بالجنة نورًا
وأراكِ كالحور العينِ

الشهيد عمر المختار

نشرت هذه الدراسة في كتاب عمر المختار في الذكرى ٧٢ لاستشهاده.

إعداد د/ محمد حامد الحضيري ٢٠٠٤

مطبعة غزلان بالعاري

واشترك معي في إعداد هذا الكتاب كلٌ من:

- الشاعرة فاطمة السيد، الشاعرة نوال مهنى، نجاة شاور ربيع، كمال خضر، حبيب الجوهري، د. محمد محمود حسين، عبد الفتاح الطاهر الخطيب، أحمد عبد الهادي، د. محمود خليفة غانم، إلخ...

باسم الأزهر الشريف جامعًا وجامعة، علمًا وأدبًا، عزة وشموخًا، تاريخًا وحضارة، أشارك وأهدي إلى روح الشهيد المجاهد عمر المختار، تلبية مني لدعوة أستاذي وأبي العالم القدير، والأديب اللوذعي الكبير، الأستاذ الدكتور/ محمد حامد الحضيري، إليه وإلى ليبيا أرض الأبطال أقدم مساهمتي في إحياء الذكرى الثانية والسبعين لاستشهاد شيخ المجاهدين البطل المغوار، والفارس الشجاع عمر المختار «١٨٥٨م – ١٩٣١م» وتاريخه بالنضال معروف، وحديثه لدى الأسماع مألوف، وقد وجب علينا أن نخلد ذكراه المجيدة، ونستلهم القدوة من حياته الحافلة بالأعمال الجليلة، والبطولات الفائقة، لحاجة حاضرنا وشعبنا إليها، وليسير الشباب على خطى الأجداد ليصلوا إلى المراد في مقاومة الأعداء، ورد ثأرنا من الغزاة الجبناء.

إنه الجهاد الذي خاضه الشهيد عمر المختار ضد أوغاد روما، فما ضعف ولا لان ولا جبن ولا استكان، إنه الجهاد يصنع رجالًا وينشئ أبطالًا، رجالًا يتحدون الحياة ويبيعون أنفسهم لله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

وكأن زعيمنا عمر المختار ينادي على الشباب من قبره: «لا تركنوا للذل وقاتلوا الأعداء»، ويردد مع الشاعر:

أعبْـدَ الله لا تخـشَ الأفـاعي ولا تـركنْ لمـن بـاعوا بـلادي
وقتـل مـن تخبـأ مـن يهـود ومـن قـد أشـربوا حـبَّ الفسـاد

إن الأمة ما ضاعت إلا لأنها تركت الجهاد، وقد يكون الجهاد بقول الحق في وجه سلطان غاشم وقد يكون بمحاربة الفساد وقد يكون بالعلم إلخ، وماذا حين تركت الأمة الجهاد؟! اعتراها الخلل ودب في أوصالها الكسل، وصدق رسول الله ﷺ: «ما ترك قومٌ الجهاد إلا أذلهم الله».

وكيف تذل هذه الأمة وقد أنجبت رجالًا أمثال الشهيد عمر المختار. ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣].نزلت في النضر بن الحارث الذي تقول عنه أخته: «ما عرفت أخي إلا ببنانه، فلقد كان في جسده ثمانون ضربة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم فنزل قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]».

هذا المسجّى في أساه

لم يعل فاه
ومضى ابتسامة من
يموت الموت
من أجل الحياة

إنها الشهادة في سبيل الله، إنه الجهاد الذي استبدلناه بكرة القدم.

الجهاد الذي يعلي شأن الأمة ويرفع قدرها ويجعل لها مكانًا بين الأمم.

ولا يقدر على ذلك غير الرجال، رجالٌ يعرفون الصمود، يحيون بعزيمة تفل الحديد، لا ينحنون إلا لله. قلوبهم كالأسود وهذا هو المؤمن.

إذ دعته الواجبات فحملته بما يئود
وجدَّته صلب المنكبين فلا يخر ولا يميد
متبسمًا والدهرُ غضبانٌ «يزمجر» بالوعيد
فإذا رماه بالخطوب رماه بالعزم الجليد
هو كالشعاع المستقيم فلا يضل ولا يحيد
هو ناصع لا يختفي خلف الستائر والسدود
وهو العزيز وإن يكن بين السلاسل والقيود

إلى شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس وسليل السنوسية، الذي

كمزاد عن الحياض، وكم أشهر سلاحه ليمحق الظلم والفساد، ليبعث في ذكراه رسالة إلى عصرنا الراقي وإلى الغزو الزاحف الذي جعل لنفسه مكانًا فوق رؤوسنا ليجعلنا تحت التراب ولنحيا في عصرنا حياة الخدم والعبيد، «إن الجهاد يجعلكم مرفوعي الرأس ولا مكان في الحياة لمن خفض رأسه وانحنى». ونتساءل أين الحضارة التي يتغنون بها وهم يقتلون الأطفال في العراق، ومن أجل ماذا وأين منادتهم من الحرية والعدالة والمساواة وحقوق الإنسان؟ والحقيقة أن العيب فينا وعلى حد قول الشاعر:

أنـا لا ألـوم المسـتبد إذا اسـتبد فشأنه أن يستبد وشأننا أن نستعد

ولله در الشاعر صان الدين:

لا لا تلومـوا المعتـدين وإنمـا لوموا الذين عـلى الهـوانِ أقـاموا
إن كان حُرَّاس الحمى متـواطئين فمـا عـلى اللِّـصِّ المغيـر مـلامُ
الله عـدل في الخليقـة إنمـا الْـ إنسـان في نزواتـه ظـلَّام

وذلك لأن أهل الإسلام والعرب خاصة أصبح ميدانهم.

عند النفير ملاعب. وسيوفهم في الغاشيات كلام

إلى ليبيا وإلى الشهيد الحي في قبره وفي بلده الذي أصبح نورًا يضيء الطريق والعباد ويوقظ النائمين وينادي على المتقاعسين.

إنكم تحتاجون إلى الكفاح، ومع الكفاح نجاح، وتذكروا قول رسول الله ﷺ: «مَا مِن مكلوم «مجروح» يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلمه «أي جرحه» يسيل دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك».

وفي النهاية أردد مع أمير الشعراء شوقي باعثًا بقصيدته باقة عطر وحب إلى روح المجاهد عمر المختار:

ـا أيهـا السـيف المجـرَّد بـالفلا	يكسو السيوف عـلى الزمـان مضـاءَ
صُيِّرت فاخترتَ المبيت على الطوى	لم تَـبْنِ جاهًـا أو تلـمّ ثـراءَ
ن البطولـة أن تمـوت مـن الظمـا	لـيس البطولـة أن تعـبَّ المـاءَ
فريقيـا مهـدُ الأسـود ولحـدّها	ضـجت عليـك أراجـلًا ونسـاءَ
ـالمسلمون على اختلاف ديـارهم	لا يملكـون مـع المصـاب عـزاءَ

ناصر

قراءة في ديوان «الحب في عصر الذئاب»

للشاعر أميمه لملوم

الشاعر في سطور:

* من مواليد محافظة المنيا.
* صدر للشاعر أميمه لملوم قبل ذلك ديوان «كلمات في العشق والهوى».
* وينشر شعره في مجلة النهار.
* وهو عضو رابطة الأدب الحديث.
* وعضو نادي الأدب بقصر ثقافة الجيزة.

الشاعر أميمه لملوم، شاعر مطبوع، يكتب الشعر كما يتحدثُه، يبدأ ديوانه «الحب في عصر الذئاب» بقصيدة «ثورة شعب» متحدثًا فيها عن قبوله التحدي وأنه سيعيش بقية حياته حرًا كريمًا، والقصيدة صادقة في كل ما تحمله من معان لأنها خرجت من إنسان يحب وطنه بلا خوف ولا نفاق، وأذكر أن الشاعر أميمه لملوم هو أول من تحدث في رابطة الأدب الحديث قبل ٢٥ يناير ٢٠١١م وثورة يناير المجيدة، عن أن الشباب يتواصلوا عبر الفيس بوك للتجهيز للثورة وسيبدءون بيوم ٢٥ يناير عيد الشرطة، فتركنا الندوة الأدبية وأخذنا نتحدث عن الثورة والإعداد لها إلخ.

يا ثورة الشعب ردي

إني قبلت التحدي

والحقيقة التي لا ينساها الشاعر أن لتونس الفضل وقصب السبق كما يقولون في تحريك الشارع المصري وإن كان الشعب المصري تحرك منذ عام ٢٠٠٠ و٢٠٠٥ والوقفات التي كانت لا تنتهي والحركات التي نشأت كحركة كفاية، و٦ إبريل وإضراب عمال غزل المحلة إلخ.

لكن تونس بدأت وكما سمعت من حَمدين صباحي على شاشات التلفاز: «لسنا أقل من تونس».

لا ينسى شاعرنا ذلك، فإذا به يتغنى بتونس وشعبها العظيم وملهم شعبها الشاب «البوعزيزي» رحمه الله الشهيد الذي أيقظ أمة:

تونس الخضراء دمت

دمتِ حضنًا للأمان

أيقظ البوعزيزي شعبًا

لا يضام ولا يهان

والشاعر أميمه لملوم شاعرٌ يسبح في ميادين عدة، وهذا هو الشاعر الحقيقي الذي لا يُغلق نفسه على لون واحد. فالشاعر الذي لا يتفاعل مع الحياة بأفراحها وأتراحها ليس بشاعر، ولو ملك ناصية البيان، فالشاعر الحق الذي يتحدث عن الناس وعن همومهم وآلامهم شاهرًا في وجه الباطل سيفه لا يخاف ولا يخشى.

يُحارب القبح بالجمال ويقف في وجه أعداء الإنسانية طيلة عمره لا ينحاز لفئة على فئة ولا يأكل بشعره على كل الموائد، وإنما يحيا بالحب والشعر والجمال.

وشاعرنا أميمه لملوم من ذلك الصنف.

قد لا أزال أغني

رغم السنين وهمّي

ثم هو يعترف أن الشيب الذي خط رأسه قد يجعل الناس ينكرون عليه الحب والغناء، لكنه لا يرى في ذلك غضاضة أو عناء.

بالحسن تجري دمائي

يشقيك بعدك عني

هذا الشاعر العاشق الذي عاش حياته في رغدٍ وبحبوحة من العيش، فهو من أسرة ثرية وبيت عريق تجده يحس بالفقراء ويسمع أنينهم. ويحاول جاهدًا أن يداوي جراحهم، ولو بالكلمة.

ففي قصيدته «من واقع الحياة» تجده يعبر عن مشاعره تجاه الفقراء بحب وشفقة وقرب مستهزئًا بمن يتعالون عليهم ويفرقون بين الناس على أصل المادة، والذين «يتنكرون» لأصلهم ونسوا أنهم كانوا فقراء.

أنا إن عشت فقيرًا

لا أحب الفقراء

فلمَ العطف عليهم

وهمُ أصل البلاء

ثم يتحدث الشاعر عن هذه الطبقية المتفشية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وعن نظرة الناس للفقير، وكيف انحدرت بنا الأنانية إلى هذا

الفهم الخاطئ والتعالي الزائف:

ينظر الناس إليه

نظرةً فيها ازدراء

ثم يتنبأ بحسه الفطري إلى أن هذا الأمر سيؤدي إلى الفناء؛ لأنه يتعارض مع الطبيعة البشرية ويتعارض كذلك مع الفطرة الإنسانية والعقيدة الإسلامية.

هل لهذا من مكان

ونصيبٍ في البقاء

ثم ينتقل إلى صورة أخرى وهي كيف يتعامل الناس مع الثرى

ينهض الناس قيامًا

كل صبحٍ ومساء

للذي قد نال حظًا

وانتمى للأثرياء

وهو يرد مع الشاعر العربي:

يمشي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبوابها

وتراه ممقوتًا ولا ذنب له ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها

هذا هو الشاعر أميمه لملوم كما عرفته يحب الشعر والشعراء ويسمو

بالمعاني فوق هامات العظماء ولا أدعي أن هذه قراءة كاملة لديوانه:
وإنما هي سبحات من شاعر لشاعر، فإلى الأمام يا شاعرنا الهمام.

تحية وتقدير

ناصر

٢٧/ ١٠/ ٢٠١١

«صوفية الحضيري»

عابدة متصوفة كرابعة العدوية

نشرت بكتاب «قصائد وكلمات نثرية» في رثاء الحاجة صوفية حامد الحضيري.

إعداد: د/ محمد حامد الحضيري ٢٠٠٢م

مطبعة غزلان بالعادي

وشارك معي في هذا الكتاب الشاعر إسماعيل بخيت، الشاعر عبد الحميد فرغلي شاعر أسيوط «رحمه الله»، والأستاذة عائدة أبو زهرة عليها رحمة الله وأخرون.

والدراسة في الأصل مكونة من ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: وقفة مع العنوان «الذي اختاره الدكتور الحضيري».
- القسم الثاني: نبذة عن التصوف.
- القاسم الثالث: عن الحاجة صوفية والتصوف.

وها هي الدراسة بن أيديكم.

بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان الذي اختاره الدكتور الحضيري

«صوفية عابدة متصوفة كرابعة العدوية».

لي معه وقفة إذ إن الحاجة صوفية لم أقابلها في حياتي ولم أشرُفَ بمعرفتها، ولم تترك لنا من الآثار ما يدل على شخصيتها المتصوفة.

ثم مقارنتها برابعة العدوية مقارنة فيها ظلم، ثم إن رابعة العدوية نفسها ليس لنا وللأسف عن حياتها من الوثائق والآثار ما يسمح لنا بتأريخ تطورها الروحي أو تمسكها بالتصوف على نحو مفصل أو غير مفصل.

فمعظم الذين ترجموا لها قديمًا وحديثًا اعتمدوا على شذرات هنا وشذرات هناك.

كالذي رواه العطار «فريد الدين» في تذكرة الأولياء والجاحظ في البيان والتبيين وكتاب الحيوان والعطار رجل جامح الخيال لا يمكن كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه عن رابعة العدوية لا يمكن أن نطمئن إلى أقواله إلا بعد أن نتأكد من مصادر أخرى تدعم آراءه.

والمصادر الأخرى إلى الآن لا تعطي ما يطمئن إليه القلب عن حياتها، ويعتمد عليه الباحث الجاد، على كلٍّ يقول الجاحظ: إنها تدعى رابعة القيسية نسبة إلى بطن من بطون قيس ومن آل عتيك بني عدوة ولهذا سميت رابعة العدوية، وعتيك هو بطن من الأزد، ثم يورد الجاحظ امتداد نسبه إلى سام بن نوح وهذا لا دليل عليه من وجهة نظري.

لكن المشهور بالانتساب إليها أبو أسماء سلمة بن منيب العتكي من أهل مرو وأبوها سكن البصرة، في بداية القرن الثالث الهجري.

إذا ما عرفنا ذلك وجدنا أنها نشأت في البصرة التي نشأ فيها الحسن البصري الزاهد أو مؤسس علم التصوف من وجهة نظري. وكانت الحياة وقتها في العراق حياة لاهية نظرًا للثراء المنتشر من عمل المتاجر يقابله زهد وتقشف من الناحية الأخرى ودعوة إلى البعد عن زينة الحياة الدنيا.

لكن حياة الترف غلبت فعمرت القنوات والمتاجر وازداد الفحش مما كان خير إطار لقصص كـ«ألف ليلة وليلة»، في هذا الجو نشأت رابعة العدوية. وهناك من يقول إن هناك رابعة أخرى نشأت في بلاد فارس في ذلك الوقت لكن إذا ما عرفنا أن العراق وإيران بينهما جِوارٌ منذ بداية الحياة فهمنا أن نَقْل الأخبار وتناقلها أمر وارد.

لكن العطار يشطح ويقول إنها بيعت وهي صغيرة إلى آخر هذه الحبكة

الدرامية التي تمتلئ بها هذه القصة العجيبة.

حتى إنهم اختلفوا هل كان أبوها مسيحيًا وأسلم أم فارسيًا.

ويزعمون أنها دفنت بقبرها بدمشق، وأنا لا أصدق كل أو معظم ما جاء عنها والذي راج من حياتها شعرها كما أرى، ومن شعرها المشهور أو المنسوب إليها حين تخاطب ربها:

إني جعلتـك في الفـؤاد محـدثي ... وأبحت جسمي مـن أراد جلوسـي

فالجسـم منـي للجليـس مـؤانس ... وحبيـب قلبـي في الفـؤاد أنيسـي

ومن شعرها المنسوب إليها أيضًا:

يـا سـروري ومنيتـي وعمـادي ... وأنيسـي وعـدتي ومـرادي

أنـت روح الفـؤاد أنـت رجـائي ... أنـت لي مؤنسـي وشـوقك زادي

أنـت لـولاك يـا إلـه البرايـا ... مـا تشـتت في فسـيح الـبلاد

كـم بـدت منّـة وكـم لـك عنـدي ... مـن عطـاءٍ ونعمـةٍ وأيـادي

لـيس لي عنـك مـا حييـت بـراح ... أنـت منّـي مُمكّـن في السَـوّادِ

ومن الشعر المنسوب إليها وبلغ حدًا من الشهرة:

أحبـك حبـين: حـبّ الهـوى ... وحبًـا لأنـك أهـلٌ لـذاكا

فأمـا الـذي هـو حـب الهـوى: ... فشـغلي بـذكرك عمـن سـواكا

وأمـــا الـــذي أنـــت أهـــل لـــه: فكشـــفك للحجْـــبِ حتـــى أراكـــا
فـــــلا الحمـــــــد في ذا وذاك لي ولكـــن لـــك الحمـــد في ذا وذاكـــا

والقارئ الفطن يعرف من سهولة الألفاظ وخفة المعاني وفكرة الهوى والحب الصوفي، أنها أشعار مستحدثة لا تمت بصلة لشعراء ذلك الزمان من قريب ولا بعيد.

هذا هو القسم الأول من الدراسة وهذا ما أردت أني أنبه عليه.

القسم الثاني: نبذة عن التصوف:

إن التصوف دون دخول في التعريفات المحددة، عنوان للحياة الروحية الإسلامية كما يراه البعض أو هو الجانب العاطفي من الإسلام كما يراه البعض الآخر، أو هو تزكية النفس واكتساب الكمال الأخلاقي كما يراه آخرون. وعلى أية حال فهو ظاهرة ثقافية اجتماعية روحية ولدت في عالمنا العربي والإسلامي مع قيام الحضارة الإسلامية وإن اختلف المؤرخون حول بدايته ومتى نشأ كفن وكعلم.

لقد حظى التصوف وما يزال بدراسات كثيرة لا تحصى في المشرق والمغرب، واختلط فيه المدح بالقدح والصحيح بالسقيم والعلم بالجهل، بل لم يعد الأمر مقصورًا على أهل التخصص ليدلوا فيه بدلوهم

وإنما دخل العامة على خط النار وألفوا وأشعروا «أنشئوا شعرًا» ولا عجب في ذلك.

فالإنسان يريد أن يشبع روحه وعقله ويعيد الثقة إلى نفسه ولو بالخيال والأسطورة.

ولا عجب أن يقول شيخ الأزهر الراحل عبد الحليم محمود عليه رحمة الله: إن التصوف ليس عملًا علميًّا، ولا بحثًا نظريًا، وإنه لا يُتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية، بل إن ما كتبه مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم كحافز مقوٍّ للتأمل، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفًا...

ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد من:

١ - استعداد فطري لا يغني عن اجتهاد أو كسب.

٢- الانتساب إلى «سلسلة» صحيحة، إذ إن البركة التي تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة شرط أساسي. ولا يصل الإنسان بدونه إلى أي درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها.

وهذا كلام الشيخ رحمه الله يحتاج إلى إعادة نظر وليس مجال الرد عليه الآن.

إلى آخر ما قاله رحمه الله.

ثم يقول في مقدمة كتابه عن الحارث المحاسبي إن لفهم الناس للدين والعمل به مذاهب مختلفة، وهذا وهم من الشيخ رحمه الله، ففهم الناس ينبع من القرآن والسنة والمأثور وما يوافق اللغة التي نزل بها القرآن وليس مجال الرد الآن.

التصوف في اللغة:

وللتصوف عند علماء اللغة معان كثيرة، معظمها غير صحيح، فأناس ينسبونه إلى أهل الصفة ليُضفوا عليه مشروعية استمراره واقتباسه من أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا غير صحيح لأنهم قعدوا في المسجد ضرورة فلما فتح الله على رسوله خرجوا. وقيل إنه من الصفاء اشتق وهذا خطأ فالنسبة إلى الصفاء صفوى وليس صوفي.

والأصح كما يقول أهل اللغة أن التصوف نسبة إلى لبس الصوف، ومنه اشتق التصوف باعتبار أن مظهر الصوف هو مظهر الزهد والتقشف.

وإن كنت أرى أن لبس الصوف لاسيما في عصرنا ليس دليل على الفقر بل هو دليل على الثراء إلا إذا كان العرب متوفرًا لديهم الصوف ويباع بثمن بخس، أو على سبيل الملازمة.

على كلٍ لا يهمنا وإنما الذي يهمنا أنه يجري مع قواعد النسب والاشتقاق فالمنسوب إلى الصوف صوفي، وجمعه صوفيون وصوفية كما

يقال في النسبة إلى زيد زيدي إلخ.

وللمتصوف أهداف وخصائص ليس هنا وقت الحديث عنها.

وإن كنت أرى أن التصوف لم يقدم شيء يذكر إلا في مجال الأدب والشعر كما نرى مع ابن الفارض وابن عربي، والبرعي اليمني من المحدثين ومن المعاصرين الشيخ القوصي، والشيخ محمد زكي إبراهيم رحمهم الله جميعًا.

والتصوف كعلم أو كمذهب لا يصح الاعتقاد به إلا إذا وافق القرآن والسنة وعلوم العربية.

وإلا كان ضربًا من الشطح.

فكثير من العلوم الإسلامية تأثرت بحضارة الغير وتراثه وللتصوف الحظ الأوفر، فالذي يمعن النظر في التصوف يجد تأثرًا واضحًا بالمسيحيين والهنود، والفرس «إيران» بل واليونان، ولذا تجد تقاربًا بين التصوف والفلسفة في أحيانًا كثيرة.

لأنهم في أحيان كثيرة يركزون على الخروج من الدنيا والزهد فيها، وهذا يخالف تعاليم الإسلام، ولولا ضيق البحث لأوردت الرد بالتفصيل على هذا الجهل، وإن كنت أرى أن التصوف الحقيقي لا يجهل أمور الدنيا. وإنما يجعلها في اليد لا في القلب وإنما الذي يوضع في القلب

الإيمان وإن اكتوى الإنسان بحمرته.

يقول الجنيد: التصوف بني على ثمان خصال: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة والغربة، ولبس الصوف، والسياحة والفقر، ثم يعقب على ذلك بأن التصوف على ثمانية خصال اقتداء بثمانية أنبياء: ويذكر لكل نبي صفة ويقول: وفي الفقر بمحمد وهو وهم فالنبي لم يكن فقيرًا، بل قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴾ أي: فقيرًا فأغناك، وذلك بسبب وفاة الوالد، وأمه حامل فيه فرباه عمه وعاله إلى آخر ما هو معروف. أما زواجه بالسيدة خديجة فلم يكن عن فقر وإنما لأمانتهﷺ وتاجر وربح. يُرجع في ذلكإلى كتاب زاد المعاد لابن القيم تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه عبد القادر.

ثم يقول موسى لبس الصوف ولا دليل على ذلك أيضًا ومعروف كما قلنا سابقًا أن التصوف نشأ في البصرة بالعراق وذلك لأسباب معروفة وليس وقت الحديث عنها الآن.

والطرق الصوفية لا تعدو تنتشر بين مصر واليمن وفارس والعراق وسوريا والسودان ولهم في مصر مشيخة وعددهم بالملايين، لكن أتمنى بأن يقدموا للإسلام شيئًا لا لأنفسهم.

إن التصوف مفاعلة مع الحياة يفيدها الإنسان وله تفيد، ليس جلوسًا

في المساجد كما أرى في بعض مساجد الأولياء وليس نومًا في الشارع والعالم من حولنا يحب العمل ويتقدم.

ويعجبني في النهاية تعريف السيوطي للتصوف بقوله: «هو العلم بالأصول الموروثة من تصحيح الأعمال ظاهرًا وباطنًا».

إذًا فهو علم ويحتاج إلى دراسة وتعمق وإن كنت أطلب من الباحثين أن يفكوا لنا «شفرات» بعض العبارات لاسيما للجيل المعاصر الذي لا يعرف شيئًا عن الحال، والقبض والبسط والكسر والصحو والذوق، فالجيل الحاضر إذا فتح كتاب شمس المعارف الكبرى للبَكَوِي مثلًا لا يفهم منه شيئًا أتمنى من أهل هذا العلم أن ييسروا وللناس سبل هذا العلم وأن لا يوقعوهم في الشطط بل يأخذوا بأيديهم إلى المحاضرة التي تعني حضور القلب بالبرهان المستنبط من القرآن ومن سنة سيد الأنام.

القسم الثالث:

البحث الذي نشر في كتاب د/ الحضيري «قصائد وكلمات نثرية» مع الأصل الذي بتره في رثاء الحاجة صوفية حامد الحضيري

٢٠٠٤م مطبعة غزلان بالمعادي

أوْلَى إسلامنا العظيم المرأة اهتمامًا كبيرًا لما لها من دور عظيم في المجتمع، وجعلها شريكة الرجل في العمل والتكاليف، ومماثلة له في الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وإذ تفوق الرجل في بعض الميادين كالجهاد مثلًا فللمرأة ميدان يضاهي ذلك، وها هي الحاجة صوفية حامد الحضيري واحدة من النساء العظيمات اللاتي قضين حياتهن مع الله وبعن أنفسهن لله، وهي صوفية الاسم والمذهب، فلها من اسمها نصيب، ومن حبها لربها أوفى معين، وقريب، رثاها شقيقها الدكتور الحضيري بقصيدة عصماء وسلط الأضواء على حياتها، واستفدت منها في كلمتي هذه التي قدمتها في ذكراها الأولى وسبق أن «عزيت» فيها أستاذنا الحضيري هاتفيًا لغيابي، فهو الذي حفظ القرآن على يديها، ذاكرًا فضلها عارفًا لها قدرها.

مـن لي أيـا أختـاه صـان إخـاء ... مـذ مـا حييـت محبـةً ووفـاء

أحْببتِ مَـن حفـظ الكتـاب وآيَـهُ ... ودعوتـه أن يحـذو العلمـاء

أنـت التـي مهـدت لي نهـج الحيـا ة وكنـت لي نـورًا محـا الإدجـاء

❊❊❊

إن حب الدكتور الحضيري لأخته يفوق كل حب؛ كم تحدث عنها كصوفية عابدة كرابعة العدوية فمرفأ سفينتي ونجاتي في حديثي عنها هو حديثي عن التصوف التي تنتسب إليه، لاسيما في حياتها ومذهبها.

فمن خلال حديث الدكتور الحضيري عنها أن مذهبها يحرّم التدخين، قبل أن يحرمه علماء العصر الحاضر، ويثبت ضرره للقاصي والداني، والإسلام لا يُحرِّم على الإنسان إلا ما يضرُّه، لكنها بالغت حين دعت إلى مقاطعة من يشرب الدخان، فلا نأكل معه ولا نشرب معه، لأنها عدته كبيرة، إنها الدعوة بالمقاطعة التي نحتاجها مع العصاة، هذا إذا عددنا شرب الدخان معصية، إنها صوفية حقيقية لا يقوى عليها إلا الأبطال. وسَلْ نفسَك لو كان عندك أخ أو ابن أو أب يدخن هل تستطيع أن تقاطعه؟ وجرب.

إنها الصوفية التي عاشتها الحاجة صوفية؛ حضور قلب وهدوء نفس بلا انفعال عند تغيير المنكر، ومعروف من أبجديات الدعوة، أن لا نصطدم مع شهوات الناس وما يحبون وأن نصبر عليهم وأن نتدرج إلى آخر مع هو معروف لدى أهله، لكن هذه الفكرة التي لاحت للحاجة

صوفية، فكرة تحتاج إلى دراسة؛ لأن الذي تقاطعه إن كان يحبك ويهمه غضبك وبُعدك عنه، سيترك كل شيء من أجلك، وهذه بداية الطريق أن يترك كل شيء من الحرام والمعاصي من أجل الله الذي خلقه فسوّاه، وهذا هو التصوف؛ التخلي والتحلي.

ولا يقدر على فهم هذه الأمور إلا أمثال الحاجة صوفية التي صفت نفسها فحلَّقت في ملكوت الجمال تتهادى طربًا، تسمو بتربية النفس إلى درجات المعالي والحب، إنه غناء بالعمل والحال في حب الكبير المتعال، أنا شخصيًا جرَّبت هذا مع أخي وكان يدخن وقلت في نفسي: أنا لا يهمني أن يترك «التدخين» أو لا يتركه، وإنما الذي يهمني أن أعرف مدى حبه لي وهل يستطيع فراقي حين أعرض عنه، وبالفعل قاطعته بعدما نصحته بلين ورفق وحنو وحب، فلم يستجب، فلما هجرته وأعرضت عنه استجاب وامتنع عن «التدخين» فعرفت أنه يحبني، وعلا حبه لي على حبه للعادة السيئة التي أذلته «للدخان»، إنه الحب، قيثارة الكون المغرد في سماء الحياة، لا يستطيب العيش إلا به، ولا تحلوا الحياة إلا على أنغامه، ومن هنا تنشأ التقوى، وهذا هو سبيل التصوف ومن هنا يكون البحث والعلم.

علـم التصـوف علـم لـيس يدركـه ... إلا أخـو فطنـةٍ بـالحق معـروف

ولـيس يعرفـه مـن لـيس يشـهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

كنت أتمنى من الله أن أرى الحاجة صوفية -عن قرب - وأخبرها أني جربت ونجحت، ولله درُّ ابن عطاء الله؛ من ذاق عرف، ذاق السعادة فأحبها وعرف المراد من الحياة فلم يعش عيش الشريد.

فعاش كاللؤلؤ في البحر، بعيد غوره، وقريب ضوءه يحيا ليُحيي الروح بالتقوى والعبادة والعلم والعمل.

فينتعش الجسد، إنها حياة الأبد، ولولا الروح لمات الجسد.

فالإنسان إذا ما وحَّدَ عرف، وإذا ما عرف جدَّ، وإذا ما جدَّ وصل، وإذا وصَل اتصل، وإذا ما اتصل مجَّد، وإذا ما مجَّد فرَّد، وإذا فرَّد جرَّد، لتصفو روحه والصفاء هو سر الوصول، ولا يكتمل إلا بحب المصطفى الرسول ﷺ.

مَـن مِثـلُ أحمـد في الكـونين نهـواه بـدر جميـع الـورى في حسـنة تـاهوا

مـن مثلـه وإلـه العـرش شـرَّفه بـالخلق والخلـقِ إن الله أعطـاه

الشمس تخجـل مـن أنـوار طلعتـه حارت عقول الورى في وصف معناه

تبـارك الله مـا أحـلى شـمائله حـاز الجمـالَ فمـا أبهـى مُحيَّـاه

إن التصوف الحقيقي الذي تمثله الحاجة صوفية، كما يتحدث عنها

الدكتور الحضيري، في مدى حب الإنسان لله ولرسول الله ﷺ قال تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

وانظر إلى ذيل الآية ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ والفسق خروج، والعشق دخول، ولا يكتمل الدخول إلا بحب طه الرسول.

في مثل حسنك تُعذر العشاق ... وتُمَدُّ خاضعةً لك الأعناق

قد فاق حسنك ذا الوجود بأسره ... حتى أضاء بنورك الآفاق

هل في فؤادي غيرُ حُبك ساكنُ ... أو غير طيفك في الكَرَى طوّاق

أنا والذي أولاك قلبي مغرم ... صَبٌّ لقربك دائمًا أشتاق

إن التصوف الحقيقي الذي تربت عليه الحاجة صوفية هو حب رسول الله وحب من يحبه.

وهذا الحب ناشئ من معرفة فضل رسول الله ومعرفة قدره ولا يعرف قدره عاصٍ.

ألم يسد الكل؟! فكيف نرتمي في أحضان من يريدون لنا الذل ونترك من بيده لواء الحمد وهذا هو التصوف إنه رسول الله، أوّلنا إذا خرجنا ﷺ

وبعثنا، وقائدنا إذا وفدنا، و خطيبنا إذا أنصتنا، وشفيعنا إذا حُبسنا، ومبشرنا إذا أبلسنا.

هو سيد السادات وصاحب الآيات «المعجزات» القمر الذي طابت سريرته وسجاياه وسيرته، صفوة الباري وخيرته، ولا أجد ختامًا لكلمتي أبهى وأروع من قصيدته البرعي اليمني والباروني الليبي عليهما رحمة الله.

سيدي يا رسول الله يا من أعطاك ربك فأرضاك، ما ودعك ولا قلاك، وجدك يتيمًا فآواك، وعائلًا فأغناك، وضالًا فهداك، رفع لك ذكرك، ووضع عنك وزرك، وشرح لك صدرك .

وقرن اسمه باسمك فلا يذكر الحق إلا وتُذكر معه، يا حبيب الله.

فكم للهاشمي محمدٍ من ... محامدٍ عمَّتْ الأقصى وأدنا
فلو وُزنت به عربٌ وعجم ... جُعلتُ فداه ما بلغوه وزنا
فكم رفعت له الهمم العوالي ... مراتبُ في عراصِ النجم تُبنى
متى ذكر الخليل فذا حبيب ... عليه الله في التوراة أثنى
وبشرنا المسيح به رسولًا ... وحقق وصفه وسمى وكنَّى
وإن ذكروا نجِيَّ الطور فاذكرْ ... نجِيَّ العرش مفتقرًا لتغنَى
فإن الله كلَّم ذاك وحيًا ... وكلَّم ذا مشافهةً وأدنا

وقال لذلك اخلع منكَ نعلًا ... وهذا قال جُز بالبسط مَثْنَى

جبالُ الطور ما وُعدت بنعلٍ ... وفرشٍ والبساط به وُعِدْنا

وموسى خرَّ مغشيًا عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

ولو قابلت لفظة لن تراني ... بما كذب الفؤاد فهمتَ معنى

وإن يكُ خاطبَ الأمواتَ عيسى ... فإن الجذع حَنَّ لِذا وأنَّى

وسلَّمتْ الجمادُ عليه نطقا ... فأنَّي يستوي الفتيان أنَّى

وإن وصفوا سليمانَ بملكٍ ... فخا ذبه الكنوز وقد عرضنا

فبطحا مكة ذهبًا أباها ... يبيد الملك واللذات تفنى

وإن يَكُ درعُ داود لباسا ... تكون من التباس البأس حصنا

فدرع محمد القرآن لَمَّا تلا ... «واللهُ يعصمك اطمأنا

وأهلك قومَهُ في الأرض نوح ... بدعوةِ لا تذر أحدًا» فأفنا

ودعوة أحمدٍ ربِّي اهدِ قومي ... فهُمْ لا يعلمون كما علمنا

وقد كان ابنُ آمنةَ نبيًا ... وآدم لم يكن حمأً مسنّا

وتحت لوائه للرسل ظلٌّ ... غدًا يوم الجبال تكون عِهْنا

وكل الأنبياء تقول نفسي ... وأحمدُ: أمتي إنسًا وجنا

وكل الأنبياء بدور هدي ... وأنت الشمس أشرقهم وأسنا

وهم شخص الكمال وأنت روح ... وهم يُسْرَى يديك وأنت يُمْنَى
عليكَ صلاة ربي ما تغانت ... حمامُ الأيْكَ أو غصنٌ تثنَّا
وآلُكَ والصحابةُ وما غصون ... بأرياحِ إلى نجدٍ هززنا

***

ويقول الشاعر الليبي «عبد الله الباروني» مادحًا سول الله ﷺ:

فهو الرسول المصطفى بحر الوفا ... كنز الصفا وهو النبي المختارُ
نطق الكتاب بفضله وكماله ... وتجمّلت بجماله الأقطارُ
لولاه ما خُلق الوجود جُميعُهُ ... لولاه ما كانت به أدوارُ
لولاه ما سار الحجيج لمكةٍ ... كلّا ولا وجُدت بها آثارُ
لولاه ما بقيت لطيبة روضةٌ ... كلّا ولا كانت بها أنصارُ
لولاه ما قطعوا الفيافي لأرضها ... لولاه ما حنّت لها الزوارُ
فالكون أجمعه بدا من نوره ... ولذا بدا في مدحه الإكثار

صلى الله عليه وسلم

ناصر

خاتمة

في النهاية هذه جميع الدراسات التي نشرت ماعدا دراستين.

الأولى: عن الدكتور زكي مبارك، أخذتها الأستاذة كريمة زكي مبارك لنشرها، وللأسف لم تُنشرها وضاع الأصل.

الثانية: عن «الوهابية والمرأة» ونظرًا لكبرها رأيت أن أخرجها في كتاب يحمل هذا العنوان سيصدر قريبًا إن شاء الله.

الكاتب في سطور

- ناصر رمضان عبد الحميد حسين.
- من مواليد ٢١/ ٧/ ١٩٧٥م.
- الفيوم – سنورس – مطرطارس.
- ليسانس أصول الدين (قسم التفسير) جامعة الأزهر.
- العمل: وزارة الأوقاف.
- باحث إسلامي وشاعر.
- عضو اتحاد كتاب مصر «عضو عامل».
- عضو أتليه القاهرة.
- عضو مؤسس بحزب التحالف الشعبي.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- عضو جمعية حماة اللغة العربي.
- عضو جمعية حكماء مصر.
- عضو مؤسس بنادي الأدب قصر ثقافة الجيزة.
- عضو جامعة الشعراء بالمعادي.
- سكرتير رابطة الأدب الحديث القاهرة
- سكرتير الجمعية المصرية لرعاية المواهب.
- سكرتير تحرير مجلة النهار المصرية.
- عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفروآسيويين.
- عضو اللجنة الثقافية بهيئة خريجي الجامعات.
- عضو صالون سلوى المراسي الأدبي.
- عضو جمعية شعراء العروبة «جمعية الشبان المسيحيين».
- عضو ساقية عبد المنعم الصاوي.

صدر له:

- ديوان «ترانيم روح» عن مكتبة الآداب – ٢٠٠٩م.
- في المطار «رواية» عن مكتبة الآداب – ٢٠١٠م.
- ديوان «مرايا الرحيل» مكتبة الآداب – ٢٠١٢م.
- **كتب عنه:** الدكتور عبد العزيز نبوي.

والشاعر الكبير محمد على عبد العال رئيس رابطة الأدب الحديث.

والدكتور الشاعر الليبي الناقد محمد حامد الحضيري.

والأستاذ الشاعر أحمد عبد الهادي (رحمه الله).

والشاعر الفلسطيني الكبير سعيد الغول.

والناقد السوري محمد الزينو سلوم.

والشاعر إسماعيل بخيت رائد ندوة شعراء المعادي.

والدكتورة الشاعرة وفاء السيد.

والباحث الكبير الأستاذ فايز على.

والشاعرة الكبيرة الأستاذة/ نوال مهنى.

والدكتور/ وسيم السيسي.

والشاعر الصحفي/ الورداني ناصف (عليه رحمة الله).

والدكتور/ سعد أبو رضا.

والصحفي الشاعر السيد عثمان.

والشاعر الطبيب أحمد رشدي.

والناقد السوري محمد غازي تدمري.

- كرَّمته جمعية الشبان المسيحية بالجيزة (صالون الفكر الفن) لجهوده في خدمة الأدب والشعر.
- كرَّمه منتدى كنوز (تمر حنة) في حفل خصص لذلك بالصالون الثقافي بنادي الشمس، كما كرَّمه صالون سلوى المراسي الأدبي لجهوده في تفعيل الصالون والارتقاء به.
- نشرت بعض قصائده في جريدة المصري اليوم، وجريدة القاهرة، وجريدة الأهالي، وموقع محيط، ومجلة الشباب الإلكترونية.
- عمل لفترة محررًا بالقسم الأدبي بمجلة الزهور، شارك في العديد من المؤتمرات الأدبية والثقافية، وعقدت معه عدة لقاءات تليفزيونية وإذاعية.

له تحت الطبع:

١- حديث النار. (ديوان شعر). تقديم الكاتب الكبير أ/ فايز علي.

٢- المرأة الوهابية «دراسة في الأفكار والمعتقدات».

٣- لن أنسحب (٢٥ يناير) (ديوان شعر).

٤- قالت لي أمي (ديوان شعر).

٥- أنت امرأة فوق العادة (ديوان شعر).

٦- شاعرات عرفتهن.

٧- شعراء عرفتهم.

٨- شعراء ودواوين.

٩- من أزاهير الشعر الإسلامي.

١٠- بلقيس (رواية).

١١- بيت نصيف (رواية).

١٢- في المسجد (رواية).

١٣- الشيطان في القرآن «دراسة شبه لغوية شبه موضوعية».

١٤- التفسير قواعد وأصول.

١٥- ثقافة الواعظ بين التبعية والتجديد.

١٦- الموسوعة العصرية في الخطب المنبرية.

١٧- سياحة في عالم الكتب والمكتبات.

١٨- من شعراء الأزهر.

الفهرس

الإهداء ٣

تقديم للناقد السوري الكبير محمد غازي التدمري ٥

المقدمة ٧

قراءة في ديوان من فيض الوجدان للشاعرة: جميلة هادي ناصر الرجوي ٩

قراءة في ديوان «فيض الأشجان» للشاعرة: نوال سرحي/ إعداد: أحمد علي حسن... ٢٤

«عمر المختار» وحاضرنا اليوم ٣٦

الجانب الإنساني والصوفي في حياة الأستاذة: عائدة أبو زهرة ٥١

الشهيد عمر المختار إعداد/ محمد حامد الحضيري ٢٠٠٤ ..... ٦٠

قراءة في ديوان «الحب في عصر الذئاب» للشاعر أسيمه للوم ٦٦

«صوفية الحضيري» عابدة متصوفة كرابعة العدوية إعداد: د/ محمد حامد الحضيري ٢٠٠٢م ٧٢

خاتمة ٩٠

الكاتب في سطور ٩١

الفهرس ٩٥

للتواصل مع الشاعر

Nasr_201144@yahoo.com

محمول: ٠١٢٨٧١٧٦٥٥١

٠١٠٠١٨٣٥٧٨٠